سـورة الأنفـال

إسمها

الأنفال : و هو أشهرها ذلك لأن السورة افتتحت بالسؤال عن الأنفال

تسمى أيضا بسورة بدرٍ و الذى سماها ذلك ابن عباس رضى الله عنهما و سميت بذلك لأن هذه السورة تتكلم عن أحداث بدر و تؤرخ لها و تبين ما وقع فيها و كيف تم نصر الله تعالى لعباده المؤمنين و تبين تلك الواقعة و ما كان فيها من معوقات للنصر و كيف أنها ذُللت بفضل الله تعالى و تبين أيضا لنا مبادئ النصر و مقوماته و تبين أسباب الفشل و أسباب الهزيمة حتى يحذرها أهل الإيمان.

و تسمى بسورة الجهاد كما ذكر ذلك البقاعى رحمه الله في نظم الدرر و سميت بهذا الإسم لأنها تتحدث عن الجهاد و تبين أحكامه و تبين أحكام السلم و أن المسلمين عندهم مبادئ في حربهم و في سلمهم و تبين المقصد منه و الغاية التي شرع لأجلها و تبين كيف أن المسلمين مع ضعفهم و قلة عددهم و عدتهم كيف ينتصرون و كيف يكون جهادهم فتحث الفئة المؤمنة على أن تجاهد و على أن تستمر في ذلك

و لذلك كان بعض السلف يستحسن قراءة هذه السورة على المجاهدين في سبيل الله سبحانه و تعالى .

سورة الأنفال : مدنية

نقل (ابن الجوزى) الإجماع على ذلك و حكى (ابن العباس) أن فيها سبع آيات مكية تبدأ من قوله تعالى : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ) و أكثر أهل العلم على أنها مدنية.

و نقل عن قتادة قوله أن كلها مدنية إلا قول الله تعالى : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) قال أنها مكية لأنها تذكر واقعة حدثت في مكة .

و هذا الأمر الصحيح أن كلها مدنية و لا مانع أن تأتى الآية لتذكر بشيء حدث في مكة لتبين أن فضل الله و منته على عبده و على المؤمنين

مقصد هذه السورة :

تتحدث عن الجهاد و عوامل النصر و الهزيمة من خلال أحداث غزوة بدر و تتكلم على كيف يكون حال المؤمنين إذا دخلوا إلى المعركة من إنكسار حالهم لله تعالى و تفويضهم الأمر له و الإنكسار بين يديه و معرفة أن النصر من عنده لا من غيره و أن الأخذ بالأسباب على حسب المستطاع و ليس هو الجاذب للنصر و ليس القوة التي تغلب

و ليس الإستعداد الذى ينجز ما أرادوا و ليس العدد و الكثرة هو ما يحصل المطلوب .. كل هذه أسباب و النصر الحقيقى من عند الله جل و علا .

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)

من هم : السورة لم تتعرض لذكرهم لأن العبرة ليست بالواقعة إنما العبرة ما يُؤخذ من الواقعة .

يسألونك : فيها دلالة على أن بعض المسلمين سأل النبى صلى الله عليه و سلم عن حكم الأنفال أو طلب استعطائها منه .

و لم يُذكر فلان و فلان و كأن السائل بعض المسلمين و البعض الآخر كان يحتاج هذا السؤال .

الأنفال : اختُلف في تفسيرها ما هي الأنفال ؟

فقيل أن الأنفال هي الغنيمة

و قيل أنها الفيء و هو ما حصل المسلمون عليه بغير قتال .

و قيل الأنفال هي الأسلاب التي تدفع إلى الغزاة زائدة على سهامهم

و قيل الأنفال أي الخمس سألوه عنه

هذه الأقوال خلاصتها في قولين قويين :

القول الثانى : (شيء زائد يعطيه الإمام لمن شاء من الغزاة)

شيء زائد لأنها سميت أنفالا فكلمة الأنفال معناها الشيء الزائد و لذلك نحن نقول الصلاة فرض و نفل ، نفل يعنى زائد على الشيء المفروض ، فالأنفال شيء زائد على الفرض أو على الأصل . و قالوا أن هذا يعضده و كذلك مثل قوله جل و علا في شأن إبراهيم : (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ) قالوا يعقوب نافلة لأن إبراهيم سأل الولد فأُعطى الولد و ولد الولد زيادة على طلبه ، فقالوا أن الأنفال زيادة على الغنيمة .

القول الأول : (الغنيمة) هذا هو الأقرب لعدة أمور منها :

- أن هذه السورة كما ذكر ابن عباس و سماها غزوة بدر فتتحدث عن غزوة بدر و هذا السؤال جاء في أعقاب تلك الغزوة و الذى حصل في هذه الغزوة هو قتال و حصول على الغنائم ، فسميت غنيمة ، فهى غنيمة في حقيقتها .

لكن يرد هنا السؤال ... لماذا لم يقل الله تعالى يسألونك عن الغنائم و قال يسألونك عن الأنفال ؟

قيل سر التسمية بالأنفال لأنها زيادة على ما شُرع له الجهاد ، الجهاد شُرع أصالة لماذا ؟ لتكون كلمة الله هي العليا فهذا هو المقصد الأول و تكون الغنيمة شيئا زائدا على الأصل من مشروعية الجهاد فجاز تسميتها بالأنفال .

- و قال بعض أهل العلم أيضا و هو قول متجه أن الغنائم كانت محرمة على الأمم قبلنا ثم أُحلت لنا ، فيقال أن الله نفلها لنا ، أي أن الله زادنا هذه الغنائم و لذلك في الحديث : ((فضلتُ على الأنبياء بخمس، بعثتُ إلى الناس كافة، وادخرتُ شفاعتي لأمتي، ونصرت بالرعب شهرا أمامي، وشهرا خلفي، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي). ، فالغنيمة أُحلت لنا فهي شيءٌ زائدٌ أحله الله جل و علا لنا .
- نرجح أن قول الله تعالى : (يسألونك عن الأنفال) : أن الأنفال هي الغنائم ، كيف قسمتها و على من تكون القسمة ، فأجابهم الله جل و علا . (قل الأنفال لله و الرسول) أي حكم الأنفال لله جل و علا و رسوله يقسمها على وفق حكم الله جل و علا لما في ذلك من المصلحة .قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ : أى استسلموا أنتم و انقادوا و ليس لكم سؤال عن هذا بل الله سيحكم و رسوله صلى الله عليه و سلم يتولى قسمتها فلا تشغلوا أنفسكم بذلك ، إنما اشغلوا أنفسكم بما سيأتى .

فَاتَّقُواْ اللَّهَ : التقوى بإمتثال الأمر و اجتناب النهى .

وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ :

وجود مثل هذه المسألة و هي السؤال عن الغنيمة و كيفية تقسيمها سيحدث منها خلاف فالصحيح أن تقطع مادة الخلاف بإرجاع ذلك إلى الله و رسوله للحكم في هذه المسألة و أما أنتم فاشغلوا أنفسكم بإصلاح ذات بينكم ، و فيها دلالة على أنه إذا بدرت بادرة قد ينشأ منها فساد ذات البين أننا مأمورون شرعا بإطفائها و إصلاح ذات بيننا و لذلك قال جل و علا (و أصلحوا ذات بينكم و أطيعوا الله و رسوله) فقدم إصلاح ذات البين على طاعة الله و رسوله في الذكر و ذلك لأنه لن تحدث طاعة مع الشقاق ، إذا كان هناك خلاف و تصادم و نفرة و تشاحن و تباغض بين المسلمين فلن تتحقق الطاعة لله و لرسوله ، و لذلك هذا السر في سؤال العلماء قدر الله ليوسف أن يترك بيت يعقوب ليُنشأ في قصر العزيز مع أن بادى الرأي أن تكون التنشئة مع نبى ك (يعقوب عليه السلام) كان هو الأولى في نظرنا ، و لكن الله الحكيم يعلم أن الإنسان لا يكمل في وسط فيه بغضاء و حسد ، بل سيظل دائما يقع في مسألة قد مُكر به فيها ثم يقوم فيقع في غيرها ، أين يتفرغ لإكمال نفسه و لإعلائها و لسعة صدره و لشفافية نفسه ؟ لن يوجد ، و لذلك كان الأولى الفرار من هذا و لذلك بيتٌ ليس فيه حب لا يخرج منه إنسان سليم نفسيا و عقليا ، إنما الحب منبع الفضائل ، في الأسرة و المجتمع و الناس إذا شعر به الإنسان سينطلق ، سيكون محبا لنفسه و لمجتمعه عاملا للخير على عكس الشقاق .

و أصلحوا ذات بينكم : هذا أمر و الأمر للوجوب و نحن مأمورون أولا : لا نفعل ما يجلب الشقاق و إذا وقع علينا أن نقوم بالوصل و الصلح و ألا ندع مجالا للشقاق بيننا .

وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ :

هم مؤمنين أم ليسوا بمؤمنين ؟ هم خير مؤمنين بل هم الصفوة .

و مع ذلك يُقال لهم إن كنتم مؤمنين ، فترك إذا التي تفيد التحقيق و ذكر إن التي تحتمل الشك ، شكٌ في ماذا ؟ كأن الله جل و علا يحذرهم ، يقول لهم إن خالفتم هذه الأوامر الثلاثة ، كانت هذه المخالفة ، تحملكم على الشك في الإيمان أو تنتهي بكم إلى زوال الإيمان عياذا بالله .

(تقوى الله – إصلاح ذات البين – طاعة الله و رسوله) من المسائل المهمة جدا ، أن تحافظ عليها و تعض عليها بالنواجذ .

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤))

أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا :

لماذا أتى بحقا ؟ دلالة على إكتمال إيمانهم ، أنك إذا أردت أن تعرف الإيمان على حقيقته فاعرفه في هذه الخمسة صفات .

ما هذه الخمس صفات ؟

الصفة الأولى : الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ

بمعنى : ذُكر الله فتذكروا عظمته و قدرته و قَدروه حق قدره ، ماذا يحدث (وجلت قلوبهم) بمعنى خافت قلوبهم و هذا الخوف هو أقرب ما يكون إلى الخشية و لكنه مع فرار من المرهوب مما يخافون لأن الوجل هو خوف مع فرار

لماذا يفرون ؟ لأنهم يعرفون عاقبة مخالفة أمر الله عز و جل ، يعلمون عاقبة كيف ان لم يمتثلوا لأمر الله ، كيف سخطه و غضبه و عقابه فساعتها يحدث هذا الوجل ، و هذا الوجل الذى عند أهل الإيمان هو وجلٌ مملوء بطمأنينة أيضا ، أي ليس وجلٌ فقط إنما وجل مع طمأنينة ، فهم يوجلون أي يخافون الله و في نفس الوقت يطمأنون لوعده و يطمأنون لرحمته و يطمأنون لكرمه ، فهم يعيشون بين الخوف و بين الرجاء و تحدوهم المحبة إلى الله جل و علا .

من إذا ذُكر الله خاف هل يخالف ؟ لا يمكن يخالف إلا إذا ضعف الوجل في قلبه من الله و الخشية لله جل و علا هنا تقع المخالفة .

الصفة الثانية : وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا

يزدادون إيمانا بتلاوة الآيات ، نلاحظ أن الله جل و علا ذكر الفعل بصيغة المبنى للمجهول و هو ما لم يسمى فاعله ، (إذا تليت) مبنى لما لم يسمى فاعله .. لماذا ؟ لكى يقول لك أنه إذا تليت الآيات أو ذُكر الله من أي ذاكر و من أي تالٍ وقع التأثير ، فالآيات لها وقع و تأثير في السامع يزداد بها إيماناً أيا كان من يتلوها ، و هذه

خاصيتها . و لذلك في قول الله جل و علا : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) ، قالو أن وجود المؤثر المقتضى ، و هذا موجود (القرآن) و المحل القابل (و هو القلب الحى) و وجد الشرط (و ألقى السمع و هو شهيد) و انتفت الموانع : وقع التأثير . و لذلك بعض الناس في رمضان و كل رمضان يبحث عن المسجد الذى يتأثر فيه خلف الإمام ، و التأثر يقع بأى قارىء إذا كان يحسن القراءة ، نعم نداوة الصوت و طلاوته شيء جيد و لكن لا يحتاج إلى البحث لأن الآيات مؤثرة و لو أنه استحضر الآيات لبكى خلف أي إمام و تأثر بتلك الآيات . فبمجرد تلاوة الآيات و تدبر المعنى يزداد المرء إيماناً ، فأول أشياء زيادة الإيمان هي تلاوة الآيات (القرآن) مدارسته و تدبره و تعلمه .. تزيد الإيمان و ترفعه ، و لذلك لماذا كان النبى صلى الله عليه و سلم أجود ما يكون في رمضان ؟ و هو أجود الناس على كل حال و لكن لما وقعت المدارسة مع جبريل يتأثر ، يزداد إيمانا ، إيمانه مستحب و يزداد استحبابا فوق استحبابا ، كذلك نحن ترى الإنسان في رمضان مدفوع للخير معان عليه (يقرأ و يصلى و يقوم الليل) و كأنه معان على هذه الأمور .

السؤال ليس كم ختمة ختمت في رمضان ؟ كم إيمانك الذى ازداد هل صرت أخشى لله ؟

الصفة الثالثـــــة : وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

و هنا القاعدة التي مرت معنا كثيرا فتقدم هنا الجار و المجرور للتخصيص و قصر ذلك التوكل على الله جل و علا و لذلك لا يشرع أن يقول أحد توكلت على الله ثم عليك ، هذا لا يجوز لأن التوكل عبادة محضة لله جل و علا لا يشركه معه غيره . فالتوكل على الله وحده ، و لذلك في الآية الأخرى : (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ) فالتوكل و هو صدق الإعتماد القلبى على الله تعالى في جلب المنافع و دفع المضار مع الأخذ بالأسباب و لا يكون إلا لله ، و من ثمراته الإستعانة ، أنك تعلم أنه ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن و إن شاءه الناس

يتوكلون : بالفعل المضارع الذى يفيد التجدد و الإستمرار

الصفة الرابعـــــــة : الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ

فهم ملازمون بأدائها بأركانها و شروطها في أوقاتها على الوجه الذى يرتضيه الله جل و علا بخشوعها و طمأنينتها .

الصفة الخامســـــة : وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ

ينفقون : بصيغة المضارع تفيد الإستمرارية

مما : ما من ألفاظ العموم أي من كل شيء رزقناهم ينفقون ، فإذا رزقناهم مالا أنفقوا من أموالهم ، سواء كانت نفقة واجبة كالزكاة أو كانت نفقة مستحبة ، كذلك الصحة رزق فيساعدون المحتاج و يعاونون غيرهم و هذا أيضا من الإنفاق ، كذلك أيضا تنفق من جاهك فإذا طلب منك رجلٌ شفاعة فتشفع له إن كانت الشفاعة حسنة فيكون لك نصيب من أجرها .

و أيضا ينفقون من علمهم فالعلم رزق بل الإيمان و العلم هما أولى رزق يُرزَقه العبد و أوفى رزق لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : (من يرد الله به خيرا يفقه في الدين) .، و لم يؤت أحد بعد الإيمان بالله تعالى أفضل من العلم ، فهو أيضا ينفق من علمه و لا يبخل به بل يعين الناس و يسد حوائجهم .

مما رزقناهم : يا من تبخل بما رزقناك إنما أعطيته منا فلا تبخل بالإمتناع ، لو أنفقت رزقناك و أعطيناك مرة أخرى .

أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا

المتصفون بهذه الخمسة أوصاف هم أهل الإيمان الحقيقي ، الكمل في إيمانهم .

لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ : أي في الجنة

وَمَغْفِرَةٌ : مغفرة لما بدر منهم من ذنوبهم ، و المغفرة بمعنى ستر الذنوب و التجاوز عنها فلا يحاسبون بها .

وَرِزْقٌ كَرِيمٌ : أي يُرزقونه في الجنة ، و كلمة كريم : هو ما كمل حسنه في هذا المقام ففي الآخرة الرزق كريم و الكرم في أي شيء دليل على إكتمال صفة الحسن فيه .فلذلك الجنة فيها ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر .

الآيات انتقلت مباشرة من ذكر الأنفال و الحديث عنها إلى ذكر صفات أهل الإيمان.

لماذا هذه النقلة السريعة ؟ يقول أهل العلم العدول بهم عن حديث الأنفال لحديث الإيمان إيماءٌ بما يجب أن يشغلهم و تنبيه إلى ما يجدر بهم .

(كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥))

كما أن الله انتزع منكم قسمة الغنائم بعد إختلافكم في قسمتها و تنازعكم فيها و جعلها إليه و إلى رسوله صلى الله عليه و سلم ، كذلك أمرك ربك بالخروج من المدينة للقاء المشركين بوحي أنزله عليك مع كراهة طائفة من المؤمنين لذلك

كان خروجه بالحق : أي بأمر الله جل و علا و بوحيه .

وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ

هذه الكراهة كراهة طبع و ليست كراهة لأمر الله . فهي كراهة للقتال و فيه إزهاق للنفوس و سيحدث سفر و تعب و هم يكرهون ذلك . فهي كراهة طبيعية . كما في قوله تعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ)

وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ : و هو الضمير يعود على القتال ، فالمفعول قد يكون مكروها للنفس و قد يكون فيه ألم شديد لها فهي تكرهه لذلك ، أما الكتابة فلا كراهة بل نحب أمر الله تعالى و نحب ما كتبه الله من قدرٍ .

(يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ (٦))

الحق الذين تبين ماذا ؟ الذى أُمر النبى به و هو القتال

اتضحت الأمور فلم يعد أمام المسلمين إلا الحرب .

كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ : كأنما رجل يُساق إلى الموت ، فالحسابات الأرضية تقول بقلة العدد و العدة و العتاد بالقياس للكفار فتعنى موتهم ، و لكن كان هناك حسابات أخرى ، نفذ الصحابة الأمر مع إحساسهم بأنهم سيُقتلون .

(وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧))

قبل غزوة بدر علم النبى صلى الله عليه و سلم بمقدم أبى سفيان من الشام و معه عير قريش عليها أموالهم فقال النبى صلى الله عليه و سلم لأصحابه : إن عير أبى سفيان قد أتت فاخرجوا حتى تستردوا بعض ما سُلب منكم في مكة ..

فهم قد خرجوا للعير و هذه العير ليس معهم عسكر و لا جند يدافع عنها ، إذاً هم سيخرجون بأقل سلاح يحصلون على الغنائم و يعودا ثانية للمدينة ، الذى حدث أن أبا سفيان علم بإستعداد النبى صلى الله عليه و سلم و الصحابة للخروج إليه فأرسل رجلا يسمى (عمرو بن ضمضم الغفارى) إلى مكة ليأتيه بالمدد ، فذهب عمرو إلى مكة و نادى على الكفار أن أدركوا أموالكم و عيركم ، و أخذ أبو سفيان طريق الساحل و هو طريق لم يكونوا معتادين السير فيه ، و خرج المسلمون ليكون المسلمون بالعدوة الدنيا بقرب المدينة في جانب الوادى و هم بالعدوة القصوى و يأتي الجند .

إذا العير ذهبت و أصبحت أقرب إلى مكة منهم و لم يعد أمام المسلمين إلا القتال و هم خرجوا و قد وعدهم الله إحدى الطائفتين إما العير و إما النفير و قد كانوا في قرارة أنفسهم يريدون العير و لو كان النفير إبتداءً ما خرجوا ، و قد أمر الله النبى بالقتال ساعتها ، لو تُرك الأمر للمسلمين ما قاتلوا .

تودون : ترغبون و تحبون

غير ذات الشوكة : الشوكة : الحد و السلاح ، فغير ذات الشوكة العير ، و ذات الشوكة : تعنى الحرب

و يريد الله : هم أرادوا شيئا و ودوه و أحبوه و الله أراد شيئا هم يكرهونه ، يكرهون القتال ، و القاعدة (و عسى أن تكرهوا شيئا و هو خير لكم) ، فهم يكرهون ذلك مع أن هذه النقلة الأولى في حياة الدولة الإسلامية فهى أول معركة و سيأتى بعدها تغير كبير جدا في أوضاع المسلمين ، هذه هي البداية الحقيقية لإقامة الدولة و لذلك سميت معركة الفرقان ، فرقت بين الحق و الباطل و فرقت بين عهدين و قد بدأت الدولة تتضح معالمها .

و يقطع دابر الكافرين : أي يستأصلهم جميعا .. و لذلك في هذه المعركة قُتل صناديد المشركين

الصناديد : جمع صنديد و هو القوى الشجاع الشديد ، و لذلك يجوز أن يقال عن المسلم صنديد .

(لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨))

لِيُحِقَّ الْحَقَّ : ليحق ما وعد في القرآن ، ليحق الحق بظهور الإسلام

و يبطل الباطل : الشرك

وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ : أي المشركون .

فقد هيأ الله لهم أسباب القتال و أعانهم عليه .

(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩))

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ : أي تطلبون الغوث و الحماية و اللجأ ، و قيل أن معناها تستنصرون : أي تطلبون النصر و الظفر على أعدائكم ، أو تستجيرون بطلب الخلاص من هذا الموقف .

الإستغاثة : هي دعاءٌ و لذلك هي عبادة ، و الدعاء طلب فهى طلبٌ أيضاً و لذلك ما تستدل به على أن الدعاء عبادة تستدل به على أن الإستغاثة عبادة .

الإستغاثة مع طلب رفع الشيء لأن هناك شيء مكروه واقع فيحتاجون رفعه .

الإستعانة : طلب العون اللياذة : طلب فعل الخير

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ : هل هذا على سبيل المدح أم على سبيل الذم ؟ مدحهم الله عز و جل أنهم يستغيثون الله عز و جل لأن الإستغاثة عبادة فنحن نستدل على أن الفعل عبادة بطريقين :

الأمر الأول : إما أن يكون هناك دليل خاص يدل على أن هذا الفعل عبادة مثل (الدعاء هو العبادة)

الأمر الثانى : أن الله جل و علا يذكره مادحاً لفاعله أو راضيا عنه فهذا يدل على أنه عبادة لأن العبادة عبارة عن ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال و الأعمال الظاهرة و الباطنة

الدليل على أنه عبادة : في قول الله تعالى : (يدعوننا رغبا و رهبا) و الدليل هنا لأن الله مدح فاعله ، و إذا مدح الفاعل فقد رضى عنه و أثنى عليه و ما أحبه الله و رضى عنه فهو عبادة .

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ : الإستغاثة للرب ، فلم يقل تستغيثون الله ... لماذا ؟ لأن إجابة الدعاء من لوازم الربوبية .

و لذلك العلماء يقولون : إذا دعوت الله فقل يا رب ، و كره مالك أن يُقال يا سيدى ، و قال عندما سُأل : ما تقول فيمن يقول يا سيدى ، قال : ادعو بما دعت به الأنبياء . الأنبياء في القرآن كانوا يقولون : (ربنا – يا رب) لم يقولوا يا سيدى .

فَاسْتَجَابَ لَكُمْ : الفاء هنا للسرعة .و كلمة فاستجاب تدل على أن الإستغاثة دعاء ، لأن الدعاء يُستجاب له .

أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ : سيمدهم بألف من الملائكة مردفين

مردفين : متتابعين أو ينزلون فرقة بعد فرقة في تتابع

(وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠))

و ما جعل هذا الإمداد بالملائكة إلا بشارة لكم ، و لتطمئن به قلوبكم .

وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ : إسلوب إستثناء و حصر يدل على أن النصر ليس له إلا طريق واحد ، من عند الله ، فتأخذ بالأسباب المستطاعة كلها و في النهاية النصر من عند الله .

نصر : عند البحث عن الكلمة في المادة في اللغة تدل على المسيل للماء الذى يروى غيره ، فكأن مصدره لله جل و علا و واصلٌ إليك و الله هو الذى يمدكم و ينصركم سبحانه و تعالى .

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ : فالله عزيزٌ ، عز فغلب ، لأن من صفات العزيز أنه الغالب ، و عز فقهر ، و عز فامتنع ، فلا يصل إليه و لا إلى أولياؤه أحد .

حَكِيمٌ : يضع الشيء في موضعه

(إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ (١١))

الموقف رهيب هم لم يستعدوا للقتال و الكفار مستعدون و ليس معهم أسلحة و الكفار معهم أسلحة و هم يقفون في موطن لا يصلح للوقوف لأنه ليس ثابتا و ليس عندهم ماء لأنهم وقفوا في جهة يحتاجوا إلى الماء ، و عطشوا ، و الكفار في الناحية الأخرى عندهم بئرٌ فيه ماء ، فالأمور كلها مواتية للكفار ، و ليست مواتية للمؤمنين ، فوقع الخوف ، و ساعتها بعث الله النعاس – و هو مقدمة النوم – و الخائف لا ينام ، فالإنسان إذا تملكه الخوف و رُعب لا ينام ، فالنعاس دلالة على الطمأنينة .

إِذْ يُغَشِّيكُمُ : التغشية بمعنى التغطية ، كأنه مغطى عليهم ، فليس هناك شيء يخشونه .

وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء : هم كانوا يحتاجوا إلى الماء ، و الله حكيم يرى أولياءه و يعطيهم ، فقد أمرهم بالخروج و يهيء لهم الأسباب . لذلك إذا أُمرت بشيء فاستعن بالله ، فستعان عليه بإذن الله .

لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ : إحتاجوا إلى الماء للوضوء ، و الإستنجاء ، و ذهاب الأوساخ و غيرها ، فهذه أول فائدة للماء .

وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ: الرجز بمعنى الوساوس ، لأن الشيطان أتى فأوقع في قلوبهم ألما ، أنهم لن يستطيعوا النصر على الكفار ، التخويف المستمر (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياؤه) .

وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ : يربط أي يثبت تلك القلوب بمشاهدة منح الله جل و علا ، لأن مشاهدة المنن تقوى القلب و تستشعر فضل الله جل و علا عليه .

وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ : الأرض كانت رملية فلما نزل الماء على هذا الرمل ثبت فلا يحتاجون إلى مجهود ، بل الأرض تكون ثابتة و مستقرة .

(إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢))

إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ : بمعنى يُلهم الملائكة

أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ : هذه معية خاصة ، أنى معكم .

كيف يقع هذا التثبيت ؟ هنا أطلق فالتثبيت يقع بأمور كثيرة جدا ، منها تبشير الملائكة للمؤمنين بالنصر ، منها الإعانة بأنهم يُقَتلوا معهم ، منها تقتيل الكفار و إرعابهم .

سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ : و هذا ما يُنصر به من أشد جند الله في النصر ، و لذلك قال الرسول صلى الله عليه و سلم : (نُصرت بالرعب مسيرة شهر) ... ما معنى مسيرة شهر ؟ أن النبى صلى الله عليه و سلم يخرج بجيشه فيُرعب العدو على مسيرة شهر ، و هذا من جند الله جل و علا .

لماذا أُلقى الرعب في قلوبهم ؟ لكفرهم

فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ : هذه أول معركة فكان لابد فيها من الإثخان ، فلابد أن ترهب هؤلاء و لا تبقى أسيراً ، لأنه لو لم تيق أسيرا يتحدث الناس بأنه لا يبقى أسيراً فيخافون من مقاتلته مرة أخرى ، و لذلك عاتب الله النبى صلى الله عليه و سلم في اتخاذه أسرى بعد ذلك .

الإثخان : بمعنى التقتيل الشديد .

فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ : هذه طريقة القتال معهم

وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ : البنان هي المفاصل ، و سُميت البنان بهذا الإسم من قولهم : أبنا بالمكان أي أقام فيه .

البنان : هو كل ما يُعمل به للاقامة والحياة، ولذلك هو مأخوذ من قولهم ابنَّا بالمكان أى أقمنا، والبنان يُطلق على اطراف أصابع اليد والقدمين والمفاصل فيقول : اضربوا فى هذه الأجزاء حتى ترهبوهم ارهاباً شديدا .

لماذا هذه العقوبة ؟

(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣))

كل هذه العقوبات لأنهم شاقوا الله و رسوله : خالفوه و خالفوا رسوله ، وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

شاقوا : أى عادوا وخاصموا وخالفوا الله ورسوله فكانوا فى شِق والله ورسوله فى شق (جانب) آخر .

(ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (١٤))

ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ : أي هذا العذاب الدنيوى

وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ : فليس العذاب فقط بالتقتيل و الرعب و لكن هناك عذاب أقوى و أبقى و هو عذاب النار .

لماذا أمد الله المسلمين بألف من الملائكة ؟ ألم يكن كافيا أن يُرسل جبريل فيقتلعهم بريشة من جناحه ؟

سُأل السبكى عن الحكمة في قتال الملائكة في بدر مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه ؟ فقال : وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبى صلى الله عليه و سلم و أصحابه ، و تكون الملائكة مددا على عادة مدد الجيوش ، رعاية لصورة الأسباب و سنتها التي أجراها الله تعالى في عباده .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ)

إذا قابلتم المشركين وهم كثرة يمشون بثقل فى الحركة وتقارب فى الخطى ، لكثرة عددهم .

الزحف : المشى بثقل فى الحركة وتقارب الخطى ،لأن الجيش إذا كان عدده كبير فتراه من بعيد كأنه يتحرك ببطء وثقل ،فإذا لقيتموهم كذلك فلا تولوهم الأدبار ، أى لاتنهزموا عنهم لأن تولية الظهر معناه أن ينهزم عنه ويفر .

(وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)

يوم يقبل عليكم المشركين زحفا متقاربين بثقل فليس لكم أن تفروا إلا فعلين :

الأول : "إلا متحرفا لقتال" أى منعطف لقتالهم بأن يُريهم الفر مكيدة منه ولكنه يحيد عنهم حتى يوقعهم ،كما يفعل المسلمون كأن تنسحب المقدمة للمؤخرة والميمنة للميسرة ويظهرون كأنهم يفرون حتى يدخلوا العدو فى وسطهم فيقلوهم.

الثانى :"متحيزا إلى فئة" ينعطف إلى فئة فى احتياج إليهم لأنه فقد من معه أو هم فى احتياج إليه ليعينهم على أمر ما.

فمن ولى دبره فى غير هذين الأمرين فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير، فهذا فعل كبيرة لأنه تولى يوم الزحف وقد ذكر النبى –صلى الله عليه وسلم– أن التولى يوم الزحف من الموبقات الكبيرة التى تهلك صاحبها.

الجمهور على أن الآية عامة لا تختص بمقاتلى بدر ولا بالغزوة فقط لأن بعض أهل العلم قالوا أن تحريم التولى يوم الزحف كان خاصاً بيوم بدر ، لماذا قالوا بالخصوصية ؟ قالوا : لأن الله –جل وعلا– قال : "ومن يولهم يومئذ" فقالوا : يومئذ أى يوم بدر.

والصحيحُ أن التنوين فى يومئذ عِوض عن جملة مضافة محذوفة تقديرها : يومئذ تلقونهم زحفا،فلا ذكر لبدر فى الآية وكذلك استدلوا بخصوصية بدر، قالوا لأن هذه أول معركة يلتقى فيها الكفار والمؤمنين فلا يمكن أن يتولى المؤمنون وإلا بعد ذلك صارت وصمة عار واستجرأ عليهم الكفار ، وكذلك من الخصوصية أن الملائكة معكم فكيف تولى الدبر يومها ، فقالوا أن هذه خاصة ببدر ، والصحيح أن الآيات نزلت كلها بعد الغزوة فلا معنى لأمر المقاتلين فى بدر ألا يفروا من المعركة بعد أن انتصروا فيها، فالصحيح أن الآية عامة.

التنوين قد يكون عوضاً عن كلمة /عن جملة/عن حرف:

*عوض عن حرف مثل : جوارٍ وغواشٍ، أصلها جوارى وغواشى

*عوض عن كلمة مثل : كل و بعض ، "كلٌ إلينا راجعون" أى كل الخلق وكل عبد، "بعضٌ من بعضٍ" أى بعض القوم من بعضٍ .

* عوض عن جملة : كما معنا فى هذه الآية وفى قوله تعالى:" فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ " أى حين بلغت الحلقوم تنظرون فهو عوض عن جملة .

وهنا عوض عن جملة مضافة محذوفة تقديرها :"يومئذ تلقونهم زحفا" فلا ذكر لبدر فى الآية

الأمر الآخر : أن الآيات نزلت كلها بعد المعركة فلا ذكر لبدر.

مسألة النسخ فى الأنفال :

كثير جدا من المفسرين يقولون نسختها آية القتال ، نسختها آية السيف وهكذا .

الواقعة الوحيدة الصحيحة فى النسخ فى النسخ المتعلق بالتخفيف فى قوله تعالى :" الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ "

نسخت الآية :" إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾"

شيوخ أهل التأويل وجمهور المفسرين من بعدهم متفقون على أن الآيتين المنسوخة والناسخة تتحدثان عن وجوب الثبات وتحريم الفرار أمام الكفار .

الآية " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ" تتحدث عن عدم الفرار، ولكن هذه الآية مطلقة لم تُقيد

متى يجوز الفرار ولا يكون عقاب ، أما هاتين الآيتين تحدثتا عن الشروط الواجبة للثبات فأتت الآيات مقيدة بالعدد فهاتين الآيتين تنهيان أولاهما عن الفرار بإطلاق "فلا تولوهم الأدبار " وتأمر الثانية بالثبات دون قيد "فاثبتوا واذكروا الله لعلكم تفلحون"

أما هاتان الآيتان فتخصان المؤمنين على القتال وعدم الفرار مقيدا ، وقد كان القيد فى أولاهما ألا يتجاوز المقاتلون من الكفار عشرة أمثال المقاتلين من المؤمنين ثم نُسخت هنا تخفيفا من الله عنهم ورحمة لهم فصار القيد فى الآية الناسخة ألا يتجاوز الكفار المثلين من المؤمنين .

*الشافعى –رحمه الله– يقول بعد أن يورد الرواية عن ابن عباس وأخرجه البخارى فى الصحيح بهذا الطريق وبطريق عكرمة أيضا ، يقول الشافعى :"وهذا كما قال ابن عباس ان شاء الله ،وقد بين الله فى هذه الآية وليست تحتاج إلى تفسير فالآية واضحة جدا بالنسخ ونقول هذا لان هناك من قال بعدم النسخ" فبعض الناس يقول ان الآيتان متجاورتان فى المصحف، لان النسخ هو رفع حكم ثابت بحكم آخر متراخى عنه بدليل .

الآيتان متجاورتان فى المصحف فليس بينهما فاصل زمنى يسمح بنسخ الثانية للأولى .

الرد على ذلك :أولا :أن التجاور فى المصحف ليس دليلاً على أن نزولهما كانا معاً فإن ءايتى الصدقة بين يدى الرسول –صلى الله عليه وسلم– نسخت ثانيتهما الأولى مع أنهما أيضا متجاورتان فى المصحف فى سورة قد سمع .

ثانيا : أنه قد ورد فى الآثار الصحيحة :"لما نزلت عشرون صابرون منكم يغلبوا مائتين" شق ذلك على المسلمين حين فُرض عليهم ألا يفر واحد من عشرة فجاء التخفيف ، فقال :" لَّـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا" قال ابن عباس: فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من النصر بقدر ما خفف عنهم،فهذا الأثر واضح جدا أيضا أن الثانية نسخت الأولى اى انه كان هناك وقت وعُمل بالآية الأولى فشق عليهم فانتقلوا الى الآية الثانية.

يقول كذلك : لا يقال ان الحكم الأول لا يرفع بدليل أن من شاء من المؤمنين أن يثبت أمام عشرون من الكفار فله ذلك.

نقول :الذى رُفع هو وجوب الثبات أمام عشرة أمثال المسلمين لا جوارزه ، وإنما الواجب ألا يفر من اثنين ، وثانيا : إنا نرى لهذا نظيرا وهو نسخ قيام الليل فإن هذا لا يعنى أن المسلمين قد حظر عليهم قيام الليل بل يعنى أنه أصبح نافلة بعد أن كان فريضة فلمن شاء من المسلمين أيقوم من الليل حظر.

** وقد انفرد الامام الظاهرى أبو محمد على بن حزم بمذهب فى المراد بالآية وفى ادعاءه أنها محكمة ،قال ابن حزم :" وقد ادعى قوم في قوله تعالى: {الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُنْ مِّنكُمْ مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } إنه نسخ لقوله تعالى: {يأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُنْ مِّنكُمْ مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ } . قال أبو محمد: وهذا خطأ لأنه ليس إجماعاً، ولا فيه بيان نسخ، ولا نسخ عندنا في هذه الآيات أصلاً، وإنما هي فرض البراز للمشركين، وأما بعد اللقاء فلا يحل لواحد منا أن يولي دبره جميع من على وجه الأرض من المشركين إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة ... والعجب ممن يقول: إن هذه الآية مبيحة لهروب واحد

أمام ثلاثة فليت شعري من أين وقع لهم ذلك؟ وهل في الآية التي ذكروا فراراً أو تولية دبر بوجه من الوجوه، أو إشارة إليه ودليل عليه؟ ما في الآية شيء من ذلك البتة، وإنما فيها أخبار عن الغلبة فقط، بشرط الصبر، وتبشير بالنصر مع الثبات. ولقد كان ينبغي أن يكون أشد الناس حياء من الاحتجاج بهذه الآيات في إباحة الفرار عن ثلاثة: أصحاب القياس المحتجين علينا بقول الله تعالى: {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } ويقولون لنا: إن ما فوق القنطار بمنزلة القنطار_قال الشيخ :لم يقل أحد بذلك_، فهلا جعلوا ههنا ما فوق الاثنين، بمنزلة الاثنين ولكن هكذا يفعل الله بمن ركب ردْعه واتبع هواه وأضرب عن الحقيقة جانباً_انظر هذا يدل على حرص ابن حزم على اتباع الدليل ولكن تظهر شدته على المخالف فهذا كلام ابن حزم لأئمة وجمهور السلف _.

وأما نحن فلو رأينا في الآيات المذكورة ذكر إباحة فرار لقلنا به، ولسلمنا لأمر ربنا، ولكنا لم نجد فيها لإباحة الفرار أثراً ولا دليلاً بوجه من الوجوه، وإنما وجدنا فيها أننا إن صبرنا غلب المائة منا المائتين، وصدق الله عز وجل، فليس في ذلك ما يمنع أن يكون أقل من مائة أو أكثر من مائة يغلبون العشرة آلاف منهم وأقل وأكثر، كما قال تعالى: { كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } وهكذا كله إخبار عن فعل الله تعالى ونصره عز وجل لمن صبر منا فتلك الآية التي فيها أن المائة منا تغلب المائتين، وهي إخبار عن بعض ما في الآية التي فيها أن المائة منا تغلب الألف، وهاتان الآيتان معاً هما إخبار عن بعض ما في الآية التي فيها: { كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } فلم يخص في هذه الآية عدداً من عدد، بل عمَّ عموماً تامّاً. فإن قال قليل التحصيل: فأي معنى لتكرار ذلك وما فائدته؟.

_ابن حزم ينكر نسخ الآية الثانية للأولى

*نحن لا نوافقه على انكاره، فإن فى الآية الأولى أمرا للرسول –صلى الله عليه وسلم– بتحريض المؤمنين على القتال ،حيث ذكر هذا الأمر فالمفهوم منه الثبات فى المعركة أوهذا على الأقل أولى مما فهمه هو ونعنى البراز للمشركين ،وكذلك لا نوافقه على ما قرره بصيغة الحصر من أن الآية اخبار على الغلبة فقط بشرط النصر فإنها وان كانت بلفظ الجر إنما أريد بها الأمر لسببين :

أحدهما: أنها لو كانت خبرا محضاً للزم وقوع المخبر به وهو محال لأنه من الممكن ان يحدث هزيمة ولذلك الأخبار لايدخلها النسخ والا كانت كذبا،لكن النسخ فى الأمر والنهى،وكذلك قوله لقياس :"ان تأمنه بقنطار "فإن كان قنطار ونصف فهذا أولى أن يؤدى : هذا ليس بقياس أصلا ولا يقول به أحد.

وأيضا من المغالطات يقول : أن تلك الآية ان المائة تغلب مائتين هى اخبار عن بعض ما فى الآية التى فيها ان المائة تغلب الألف وهاتان اخبار عن بعض ما فى الآية الثالثة ..

الصحيح فى الآية النسخ

" فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾"

يبين الله تعالى فضله على أهل بدر ويقول لهم أنتم لم تقتلوهم على الحقيقة ولكن الله من قتلهم لأن الله –جل وعلا– أعانكم عليهم وأرسل اليكم الملائكة فقاتلت معكم فالله جل وعلا هو الذى قتلهم

" وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ" وذلك أن النبى –صلى الله عليه وسلم– أخذ كفا من حصى ثم قذفهم فى وجوه القوم ،كان عددهم أكثر من ألف فالله عزوجل هو من أوصلها لعين كل واحد منهم ، ولذلك قال :"وما رميت إذ رميت" رمى فى الظاهر كن الذى فعل ذلك على الحقيقة هو الله عز وجل وهذا امر بَيِّن ولذلك قال :"وما رميت إذ رميت" ولذلك لم يقل فى الأول :"فلم تقتلوهم إذ قتلتموهم ولكن الله قتلهم" لأن قتلهم الكفار هذا أمر ظاهر وأثره قد يكون مضمونا وبالغا فنفاه الله بالكلية ،إنما الرمية الكل يعرف أنها لاتؤثر بالكلية فقال هنا وما رميت إذ رميت فأثبت له الرمى ظاهرا حتى لا ينفى عنه فعله

"وليبلى المؤمنين منه بلاءً حسنا" البلاء : يأتى بمعنى الاختبار ، بمعنى اختبارهم بنصرهم على عدوهم وتأتى بمعنى بلاءً حسنا (بمعنى نعمة) أى أن الله أنعم عليهم بذلك مع قلة عَددهم وعُددهم .

إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ : يسمع أقوالكم ودعاءكم ويعلم أعمالكم ويعلم ما يصلحكم .

" ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ " ذلكم أى نصره لكم ، إعطؤه تلك النعم مع غلبكم فى العدد والعُدة وكذلك أيضا من أسباب هذا النصر أن الله أضعف كيد الكافرين

(إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ)

" اختلف أهل العلم فى هذه الآية الى قولين :

أن الخطاب للمشركين اى ان هذا من باب الالتفات من خطاب الله –جل وعلا– (للمؤمنين ثم للمشركين ثم للمؤمنين) لأن معانيها تدور حول التهكم بالكافرين وتوبيخهم فالمشركين استنصروا الله –جل وعلا–

فبعض الروايات تقول أنهم تمسكوا بأستار الكعبة حين خروجهم إلى بدر ودعوا الله قالوا :"اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم الفئتين وخير القبيلتين" وروى كما عند النسائى من حديث عبدالله بن ثعلبة بن صُعير قال : كان المستفتح يوم بدر أبو جهل ، وإنه قال يوم التقى القوم:"اللهم أيُنا أقطع للرحم وأتى بما لا نعرف فافتح الغد" افتح : انصر واحكم، وكان ذلك استفتاحه فأنزل الله "إن تستفتحوا" ولكن هذا حديث مرسل . لأن عبدالله بن ثعلبة له

رؤية ولكن لايثبت له سماع ، ولكن هذا عليه جمهور المفسرين، وان تستفتحوا اى تطلبوا الحكم والفصل فقدجاءكم حكمنا بنصر المؤمنين، فى بعض الروايات :"اللهم أيُنا ..فاحنه الغد"

"وإن تنتهوا" : اى عن شرككم فهو خير لكم "وإن تعودوا" فسوف نعود مرة أخرى لنصر المؤمنين

"ولن تغن عنكم فئتكم": أى جماعتكم شيئا ولو كثرت ، وواضح أن هذه الآية منسجمة مع هذا القول ، وهو كما قال جمهور المفسرين أنه من باب الاستهزاء والتهكم –طلبتم النصر والقضاء أتينا به– فهذا استهزاء بهم.

القول الثانى : يرى أن الخطاب للمؤمنين قالوا : لأن السياق كله للمؤمنين يعززه أن السابق واللاحق حديثعن أهل الايمان ، ويكون معنى الآية : أنتم يا معاشر المؤمنين طلبتم القضاء بينكم وبين هؤلاء ودعوتم الله –جل وعلا– "ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق " فأتاكم الحق "وإن تنتهوا فهو خير لكم" أى لأنهم ذهبوا الى بدر وهم كارهون وكذلك أيضا تلاحوا فى مسألة الأنفال فانتُزعت منهم ، فيقول :"إن تنتهوا فهو خير لكم عن المنازعة فى الغنائم" (وهى كراهة طبع ما تؤمرون به وليست كراهة الأمر) كراهة الأثر والشئ الواقع عليهم

"وإن تعودوا نعد" أى وإن عدتم فإن الكفار سيقفون لكم بالمرصاد مرة أخرى كما قال تعالى :"وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا" فسيخر لكم عداء هؤلاء مرة أخرى حتى تفيقوا.

قال تعالى :" وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ " فلا تعتدوا بكثرتكم وأنها ليست بشئ وأن الله مع المؤمنين ، فمن حقق الايمان كان الله معه.

** جمهور المفسرين على القول الأول وأن الآية نزلت للالتفات . وعلى سبيل التهكم بالمشركين ...لماذا لم يستجبالله لدعاء الكفار "وقال ربكم ادعونى استجب لكم" ؟

دعاء الكفار متعلق بمشيئة الله –عز وجل– ولذلك قال فى سورة الأنعام "بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون أليه إن شاء وتنسون ما تشركون" ولكن دعاء المؤمنين يستجيب الله له .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ)

أمر بطاعة الله عز وجل وطاعة رسوله والنهى عن التولى عنه وأنتم تسمعون.

(وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ)

سمعوا بآذانهم ولكنهم لم يسمعوا سمع التدبر والاتعاظ فلم ينتفعوا به، كما ذكرنا القاعدة: عدم الانتفاع بالشئ كأنه ليس موجود، ولذلك وصفهم الله– جل وعلا– فى أكثر من آية بأنهم صم بكم عمى.

(إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ)

الدواب : كل ما يدب على وجه الارض.

من هم شر الخلق ؟ قال : الصم الذين يسمعون الحق سماع قبول ،البكم الذين لا يُقرون به ولا يدعون إليه فهم لا يعقلون ، ليس لهم عقول ينتفعون بها فلا يدركون أمر الله ولا نهيه ، فالانسان الذى لا ينتفع بحاسته فهى كالعدم.

قال الشاعر : صم إذا سمعوا خيرا ذُكرت به وإن ذُكرت بسوء عنهم أذنوا

(وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ)

" وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ" : لأسمعهم سماعا ينتفعون به ،ولذلك يقولون فى الآخرة :"لو كنا نسمع أو نعقل" ألم يكونوا يسمعون؟ كان لهم آذان لكن لم ينتفعون بها، لأن السمع يأتى بمعنى الإجابة ، ولذلك نقول فى الصلاة سمع الله لمن حمده أى أجاب الله من دعاه .

"ولو أسمعهم" : على فرض ذلك وتقديره لتولو وهم معرضون.

هذه الآيات تذكر ثلاث أنواع للسماع :

سماع صوت : " قالو سمعنا" ولكن لا يفهم ما يقال .

سماع فهم : "ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم" أى فهمهم الحجة ولو أسمعهم لتولو وهم معروضون.

سماع الاستجابة: وهو غير موجود وإنما هو للقلب والجوارح،

والأول والثانى وسيلة للثالث والثالث هو المنجى .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)

استجيبوا : لم يقل أجيبوا... الألف والسين والتاء تدل على المبالغة أى إجابة مبالغ فيها **لماذا ؟** لأنهم إنما يدلوك للحياة ، ما هو الذى يحييهم ؟هو ما يحيون به مثل الايمان فالايمان حياة والاسلام :"أومن كان ميتا فأحييناه" اى كان كافرا فأسلم هذه حياة ، وقيل :"لما يحيكم" أى القرآن حياة .

"وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا " ، "يلقى الروح من أمره" ،"ينزل الملائكة بالروح من أمره" فكل هذا يدل على أن القرآن روح و مع الروح الحياة ، كذلك أيضا قيل : استجيبوا لما يحييكم : بمعنى الجهاد والجهاد حياة ذلك بأنه إذا لم يكن هناك جهاد وكان هناك استئصال للمؤمنين فإن لم يقوموا بهذه الفريضة أُستأصلوا .

إذن باختصار دعاكم لما يحييكم :دعاكم للإيمان كاملاً فكل الأوامر حياة وكل النواهى حياة ، ولذلك يقول ابن القيم –رحمه الله– فى كتاب الفوائد ص ٨٨) الحياة النافعة إنما تحصل بالإستجابة لله ولرسوله فمن لا تحصل له هذه الإستجابة فلا حياة له، فالحياة الحقيقية الطيبة هى حياة من استجاب لله وللرسول ظاهرا وباطنا فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا وغيرهم امواتا وإن كانوا أحياءً)

(اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) ورد فى هذا أثر رواه البخارى من حديث أبى سعيد بنُ المُعلى ، قال : كنت أصلى فى المسجد فدعانى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فلم أجبه ثم أتيته، قلت : يا رسول الله إنى كنت أصلى ،قال : ألم يقل الله (ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) ، قلت : بلى ولا أعود إن شاء الله. إذن دعاك فى أى وضع فتعلم أن عليك الاستجابة وأن فى هذه الاستجابة الحياة ، فإذا أنت حريص على الحياة تكون حريص على الاستجابة لأمر الله ورسوله .

:" وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ"

هذه وردت فيها تفاسير والأقرب عند الشيخ :

الأول : أنه يحول بين المؤمنين والكفر وبين الكافر والايمان، وبين المؤمن ومعصيته وبين الكافر وطاعته وهذا كما فى قوله تعالى : "وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ" وهذا قول الجمهور وابن عباس. فيكون معنى استجيبوا لله ولرسوله إذا دعاكم لما يحييكم لأنكم إذا لم تستجيبوا مع أول دعوتكم للاستجابة فقد لا تُوفقون لها مرة أخرى لأن الله يحول بين المرء وقلبه،فليست المسألة بهواكم ولا برغبتكم .

القول الثانى : وهو الذى مال اليه ابن القيم فى تفسيره القيم: أى يحول بينه وبين قلبه وهو أقرب فيعلم استجابة القلب وعدمها إذ الأصل فى الاستجابة للقلب فالله –جل وعلا– يقول احذروا فالله أقرب منكم إلى قلوبكم فيعلم ما فيها فلتسارعوا فى الاستجابة بالقلب لأنه هذا هو أصل الاستجابة.

*هناك تفاسير أخرى رجحها بعض أهل العلم منها مثلا :" وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ " قالو ذكره للحشر معناه أن الانسان يُحال بينه وبين الإيمان إذا مات فيقول إنكم لا تدرون متى تموتون وتُحشرون فالله يحول بينكم وبين ما ينبغى لقلوبكم من الاستجابة ، هناك تفسيران آخران لكن الاثنان يميلان إلى التفسير الأول .

(وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

" يورد المفسرون فى هذه الآية حديث (إذا رأيتم الظالم فلم تأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمكم بعقابه) فيقول "وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ" أى لمن عصاه فاحذروا معصيته. واذكروا هذا أيضا من تعداد النعم والمنح .

(وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

هناك تفسيران :

الأول :رجحه ابن جرير الطبرى يقول اذكروا ذلك ،(و)الضمير يعود على أهل الايمان ويكون قوله فى الارض _اى اذ كنتم فى مكة_ مستضعفون قليلون تخافون أن يتخطفكم الكفار فئاواكم بمعنى أنه جعل لكم مأوى تأوون إليه وتسكنون فيه ءامنين ، وأيدكم بنصره وقوَّاكم بالنصر وأنزل الملائكة يوم بدر فثبتكم.

التفسير الثانى : قيل هذ أيضا من الالتفات للكفار : يقول اذكروا يا أهل مكة يا كفار قريش اذ انتم قليل مستضعفون فى الأرض أى كل الأرض، تخافون أن يتخطفكم الناس المقصود بهم فارس والروم.

والجمع جائز كما قال صاحب المنار الشيخ رشيد رضا، ولكن الأقرب ما اختاره ابن جرير الطبرى بتعداد النعم على أهل الايمان ،والله أعلم.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)

هذا أيضا فيه نهى لأهل الايمان عن الوقوع فى الخيانة .

"لا تخونوا الله" الخيانة لله بترك امتثال أمره وعدم اجتناب نهيه

وتخونوا الرسول : أيضا بعدم امتثال أمره وعدم اجتناب نهيه

وتخونوا أماناتكم _اذا قلنا أن الأمانة هى الدين_ فخيانتها بعدم القيام بها على وجهها ، فلو كانت فى الصلاة تكون خيانتها ترك الصلاة وعدم القيام بأركانها وشروطها وفروضها ، وان كانت فى الزكاة فالخيانة فيها عدم تأديتها أو انقاص الحق فيها، أو أن الآية تشمل الدين كله، العقود مثلا ،اذا عقدت عقدا مع أحد فلا تخنه والرسول يقول :"أد الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك" وهذا هو الاقرب أن الآية عامة فى كل أمانة .

" وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون" أى تعلمون أن هذه خيانة وتعلمون أضرارها ومساوءها ، جملة (وانتم تعلمون) جملة حال مؤكدة لا مقيدة، بمعنى أن الخيانة أعظم مع العلم وليس معناه أنكم لو جهلتم لم تكن خيانة ،فلو كانت مقيدة لا تكون خيانة إلا مع العلم ولكن هذا ليس صحيحا ،فتكون خائنا وأنت لا تعلم وتشمل الروح والزوجة والأولاد .

(وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)

لماذا أتت هذه الآية بعد آية الخيانة ؟ كلمة واعلموا حينما تذكر فى أى آية معناها : اعلموا علما محققا لأن العلم هو معرفة الشئ على حقيقته وهو أمر فيه جزم وفيه تأكيد فيكون اعلموا علما مؤكدا أن أموالكم وأولادكم فتنة ، يقول أهل العلم : ذكرت هذه الآية بعد آية الخيانة لأن أكثر ما يدفع الانسان لخيانة الله ورسوله والامانة التى حملها: ماله وولده.

فيقصر فى العبادة من أجل المال والولد،فيقول : نحن ما أعطيناكم المال والأولاد إلا للاختبار بها ،ولذلك قال:" إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ" وسبب هذه الآية : أن بعض الصحابة كان بمكة فآمن وأراد أن

يهاجر للنبى –صلى الله عليه وسلم– فقالت له زوجته وأولاده: امكث معنا اين تذهب وتتركنا، فلما هاجر بعد ذلك رأى أن الصحابة قد تعلموا علما كثيرا وفاته فاغتم فنزل قوله تعالى :" وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" فأمره بالصفح والمغفرة ونبه على العداوة: أنهم منعوه من الخير والانتفاع .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)

التقوى : هى امتثال أمر الله واجتناب نهيه .

(يجعل لكم فرقانا) قيل الفرقان : المخرج ،كما فى قوله تعالى :"ومن يتق الله يجعل له مخرجا" –قيل : نجاة وقيل : فضلا من الله ونصرا ، وقيل :فصلا بين الحق والباطل ،اذن الفرقان: يعطيكم الشئ الذى تفرقونه به بين الحق والباطل

يكفر : يستر .

يغفر: يتجاوز، لأن المغفرة هى ستر الذنب وعدم المعاقبة به ، والتجاوز عنه يكون بالعفو، فإذا ذُكرت المغفرة شملت العفو أيضا ،فيكون الستر مع العفو. الغفران هنا : المجاوزة عن الحد وعدم المؤاخذة به .

(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)

القصة مشهورة حينما اجتمع المشركون فى دار الندوة ليقرروا ماذا سيفعلوا مع النبى فاقترحوا اقتراحات:

الأول :الاخراج .

الثانى : الاثبات وهو الحبس، يثبتوك: يحبسوك ويوثقونك فى مكان لا تتحرك منه ،حتى لايختلط به أحد ولا يتعامل معه أحد.

الثالث والاخير : القتل وهو الاقتراح الاخير، فتمالئو على قتله فقالوا نأخذ من كل قبيلة شاب فيتفرق دمه بين القبائل فلا يستطيع أهله أن يأخذوا بثأره .

"وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ"

المكر له جانبان : جانب سئ وجانب ممدوح محمود.

المكر السئ : هو التدبير الخفى لإيصال المكروه إلى الممكور به من حيث لا يحتسب (وهذا مكرهم).

الجانب الآخر: هو وقاية الممكور من المكروه(وهذا مكر الله)

ما الدليل أن المكر قسمان؟ قال –جل وعلا–) استكبارا فى الأرض ومكر السئ ولا يحيق المكر السئ إلا بأهله) فدل على أن هناك مكر ليس بسئ. المكر الآخر: يسمى كيد –استدراك–إملاء (وأملى لهم إن كيدى متين) ولا يسمى مكرا الا اذا كان له جانبان. ولذلك بعض العلماء يقولون المكر فى مقابلة مكرهم صفة كمال، فالله

يتصف بالممدوح الكامل الذى لانقص فيه بوجه من الوجوه. لكن الخيانة ليس لها الا جهة واحدة وسياتى معنا فى نفس السورة (فقد خانوا الله فأمكن منهم)

(وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)

" يقولون ان هذه الآية نزلت فى النضر بن كِندة وهو أنه لما سمع الآيات تتلى قال : ان هذا قصص لو نشاء لقلنا مثله ،وهو لا يستطيع لكن قريش كانت تعلم ان كلام النضر ليس له قيمة .

القول الاول : (قالو قد سمعنا) : أى سمعنا هذا الكلام وهذا القصص ولو نشاء لقلنا مثله .

القول الثانى: قالو قد سمعنا منك وفهمنا ولكن لا نطيعك ، والقول الاول أقرب إلى سبب النزول ومعنى الآية وخاتمتها ، لأنه قال: (إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)

(وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)

وهذا قمة السفه لأنه كان أولى بهم أن يدعوا ويقولوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه لكن عنهم من الكبر ما يجعلهم يقولوا السفه .

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)

" النصف الأول من الآية لانهم تمنوا العذاب فكان هذا رد الله –جل وعلا– أن الله لا يعذبهم والنبى فيهم،ولذلك قال ابن عباس: (ما عذب الله قوما وفيهم نبيهم حتى يُخرجوه). فالأمان الأول هو وجود النبى بين أظهرهم ،وهذا نأخذ منه عبرة : أن من كان الرسول فى قلبه بطاعته وحبه ونصرة دينه وتعليم سنته ومحبة نشرها وبذلها لا يعذب الله هذا القلب، فإن كان هذا القلب فيه محبة الله فهى أعظم.

الأمان الثانى : "وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون" هنا تضاربت الأقوال :

١– قيل أى وفيهم من يستغفر، قالوا ان النصف الثانى من الاية خاص بأن أهل الايمان بعضهم عجز عن الهجرة فمكث فى مكة فقال –جل وعلا– وهم أى أهل الايمان بين أظهرهم يستغفرون، كما فى الآية الأخرى "لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليماً" فلو حصل هذا التزيل أى التميز وأخذ المؤمنون جانباً وهم جانب لعذبهم الذين كفروا ولكن لا يعذبهم وأهل الايمان بينهم، وهذا فيه دليل أنه لا يمكن أن يبرر بعض من سفه قوله لبعض العمليات الانتحارية فى بلاد المسلمين.

٢– التفسير الآخر : علم أن فيهم من سيؤمن ، "وهم يستغفرون" علم الله أن فيهم من ذريتهم من يستغفر ويؤمن.

٣– وقيل : أى أن هذا شرط أى أنها جملة حالية (وهو سبب اختلاف التفسير) ،المخرج : أن أهل العلم قالوا ان هذه جملة حالية على سبيل الشرط فتعنى : وما كان اللهم لو أنهم أسلموا .

(وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)

" وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ " هم لم يحققوا الشرط فحق عليهم العذاب . جملة :"وهم يصدون عن المسجد الحرام" جملة حالية ولكنها ذُكرت بمعنى العلة ،فكيف لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام.

" وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ " أولياء الله أو أولياء البيت الحرام، فليس أولياءه إلا الذين يتقون الله بامتثال أمره واجتناب نهيه . " وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ " لأنهم ادعوا الولاية وهم ليسوا أولياءه.

وقيل : وما كانوا أولياءه: أن أولياء المسجد الحرام بمعنى أنهم متولون المسجد الحرام فهم أولى الناس به دون غيرهم لأن كان عندهم السقاية والرعاية ولذلك بيَّن الله كما سيأتى فى التوبة (أنما يعمُر مساجد الله من ءامن بالله واليوم الآخر) فعمارة المساجد الحقيقية بالتقوى والإيمان ليست بالزخرفة ، فالنبى يقول :"أيُما امرىء أدركته الصلاة فعنده مسجده وطهوره " ، وقال النبى :"رأيتنى أسجد فى ماء وطين" فلم يكن المسجد سوى عرش يسقط منه ماء المطر ،وفى خلافة عمر –رضى الله عنه– لما أتى توسعة المسجد قال عمر :"لا تُحمّروا ولا تُصفروا"

(وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ)

" المكاء : التصفير . التصدية : التصفيق ، وقيل العكس ،لكن الاول أشهر .

هؤلاء الذين يدَّعون الولاية جعلوا التصفير والتصفيق عبادة ، وقيل كان مقصودهم التشغيب على رسول الله حين كان يصلى ويقرأ القرآن.

" فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ " قيل العذاب المقصود هنا القتل والأسر يوم بدر وهذا إنما وقع بسبب كفرهم وتكذيبهم لرسول الله، وبيَّن فعل أهل الكفر فعندهم فى عبادتهم التصفير والتصفيق.

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ)

هذه الآية نزلت لأن بعضهم وقف فى المسجد الحرام ويقول : انفقوا حتى نقاتل الصابئين،جمعوا الاموال تقربا لله لمقاتلة أهل الايمان ، وقيل أن بعضهم كأبى جهل وغيره أنفق عطاءات كثيرة وأوقف على هذه الحرب ألفا من الإبل أو أكثر.

"ينفقون " على سبيل الاستمرار

" فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ " فمصيرهم فى الدنيا الحسرة والغلبة لأنهم يُغلبون و فى الآخرة إلى جهنم يُحشرون

" لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ "

الخبيث: هم أهل الشقاوة.

الطيب : هم أهل السعادة.

الضمير فى يُحشرون يعود على : ليميز الله الخبيث(الكفار) من الطيب (أهل الايمان) وهذا اختيار ابن جرير الطبرى.

وقيل : (الخبيث من الطيب) قيل الانفاق ظو حتى يتبين إنفاق أهل الايمان فى سبيل الله أو انفاق أهل الكفر فى سبيل الشيطان ، وهذا متعلق بقول :"ثم تكون عليهم حسرة" وهذا قول : ابن الأنبارى.

"ويَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جِمِيعاً "

يركمه: يجعله متراكما مجموعا بعضه فوق بعض.

" فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ " أى الخاسرون على الحقيقة لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم وأموالهم .

"قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ " إن ينتهوا أى عن كفرهم وصدهم عن سبيل الله ،يُغفر لهم ما سلف من الذنوب.

يُغفر : فعل لم يُسم فاعله (الله –عز وجل–) ، هل يصح قول : (يغفر لهم الإيمان) بعض أهل العلم قالوا يصح أى يغفرون لهم فلا يُطالبونهم بقصاص ولا دية .

(لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧) قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ (٣٨) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٤٠))

سبق معنا فى تلك الآيات بيان وجهة نظر إنفاق الكفار أنهم ينفقون أموالهم للصد عن سبيل الله جل وعلا وبين الله جل وعلا أنهم سينفقونها كما أرادوا وولكن النتيجة المرجوة من الإنفاق لم تتحقق بل سيُغلبون ويتحسرون عليها أيما تحسر ثم إذا كانوا فى الاخرة فإن مأواهم جهنم عياذا بالله جل وعلا .

لماذا هذا ؟ ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضهم على بعض فيركمه جميعا .

(فيركمه) : أى يجعله بعضه فوق بعض متراكبا متراكما فيجعله فى جهنم .

(اولئك هم الخاسرون) أى الخسران الحقيقى .

قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سلف : وهذا فيه فتح باب التوبة حتى للكفار المحاربين مع بذلهم الجهد الكثير للصد عن سبيل الله الا ان رحمة الله واسعة وباب التوبة مفتوح لا يغلق الا اذا اتت العلامة لاغلاقه وهى إما أن تطلع الشمس من مغربها أو يروا العذاب قد نزل بهم أو أن تبلغ الروح الحلقوم قبل ذلك حتى لو كان

عدوا محاربا قتالا للمسلمين لكنه تاب وأناب ورجع من الكفر الى الإيمان ومن المعاصى الى الطاعه فان الله جل وعلا يفتح له ذلك بل قد يغفر لهم ماقد سلف أى (ما سبق)

وإن يعودوا : أى إلى ماكانوا عليه .

فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ : أى سيفعل بهم مافعل بمن قد مضى وسار على النهج إلى الدمار فى الدنيا والجحيم فى الآخره عياذا بالله جل وعلا ثم دعا الله جل وعلا المؤمنين الى قتال اولئك الكفار قال (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ) .

والفتنة : هى (الشرك) فى قول جمهور اهل التفسير يقولون (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) جل وعلا اى وحده لا شريك له (فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) أى إن انتهوا عن الشرك والصد عن سبيل الله ببذل الاموال وغيرها فإن الله بما يعملون بصير لا تخفى عليه خافيه .

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ : هل المقصود من قتال الكفار أن نقاتلهم حتى لا يبقى شرك على وجه الارض ؟؟ ألا تقول وقاتلوهم حتى لا تكون فتنه وفتنة لفظه نكره فى سياق النفى تفيد العموم أى لا يكون ثَمَّ شرك موجود على وجه الارض هل هذا المطلوب منا اى (حجة) هل يلزم المسلمين ؟ وقاتلوهم فعل امر والامر يلزم الوجوب فهل يقتضى ذلك وجوب ان نقاتل كل الكفال على وجه الارض حتى لا يبقى شرك ؟ هل هذا المطلوب ام لا ؟ نقول لا يفهم ذلك من الآية ، وسيرة النبى صلى الله عليه وسلم لا تدل على ذلك صحيح إنما سيبقى الكفر ، إنما سماه هنا بالفتنة أى إذا كان فيه فتنه لنا وضرر على ديننا قاتلناهم ووجب علينا قتالهم دفعا عن حوذة هذا الدين أما لا يمكن ان يكون القتال واجب حتى لا يبقى شرك لان الشرك سيبقى لأننا نقول حتى مع القتال قد يبقى بعض الكفار على كفرهم اذا دانوا للمسلمين بالجزيه وهذا ما فعله المسلمين فى فتوحاتهم أى لم يكن القتال اما اسلام واما ان تموت انما كان الاسلام اما ان تسلم واما ان تعطى الجزية صحيح ، فإن إبقاءهم مع الجزية هذا ابقاءهم الشرك ، ولكن هذه الاية مع السلوك العملى للنبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين لا تدل أبدا على ألا نبقى شرك وأن هذا واجب علينا لان هذا ليس فى المستطاع وإلا كان وقتها يجاهد النبى صلى الله عليه وسلم من خلف البحار وفى كل مكان وان يبذل وسعه في أن يدرك كل هؤلاء ولكن المسألة ليست كذلك .

(وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٤٠))

مَوْلاكُمْ : (المولى) بمعنى السيد وبمعنى الناصر وبمعنى المعين كل هذه المعانى فاعلموا ان الله مولاكم

فاعلموا : كلمة فاعلموا (العلم) معناه معرفه الشيء على حقيقته علما جازما وادراك الشيء إدراكا جازما ، فتدرك ادراكا جازما ان الله هو مولاكم ، نعم المولى ونعم النصير ، نعم المولى ونعم من والاه فيكون فى معية الله وفى نصرته سبحانه وتعالى .

(وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

هذا تفصيل لما قد مضى والسؤال هنا (وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) فى أول السورة (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) سبق أن قدمنا الخلاف هل الأنفال هى الغنيمة أم هى الفيء وهنا نقول فيها خلاف لأهل العلم على قولين :

القول الأول : أن (الغنيمة) شيء والفيء شيء آخر ، كلاهما مختلف فالغنيمة ما ظُهر عليه من أموال المشركين وأُخذ عنوة بعد قتال ، أما (الفيء) قيل ما ظُهر عليه من الأرضين ، الأراضى ليس مالا وأُخذ عن صلح ، وبعض أهل العلم اقتصر على ما أخذ عنوة (الغنيمة) وما اخذ صلحا (الفيء) .

القول الثانى : أنهما واحد وهذا قول قتادة ويكون تعريفه : هو كل ما نيل من المشركين (يسمى فيء أو غنيمة) ولا يفرق ويقولون هذا المعروف فى اللغة وكذلك فى قوله (وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ) فما نيل من المشركين (فيء أو غنيمة) وعلى هذا القول يقولون أن هذه الآية جاءت ناسخة لآية الحشر وهى قول الله تعالى (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السبِيلِ) لكن الآية الثانية (فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى)

لكن هذا القول لا وجه له ولا تنافى بين الآيتين وعلى ما رجحناه أنهما مختلفتان ولكن رجحنا ان الأنفال هى الغنيمة وليست الفيء.

قلنا فى بداية السورة هل الانفال هى الغنيمة أم الفيء ورجحنا انها الغنيمة و فيها ثلاثة اقوال :

١- القول الأول : انهما شيء واحد ان الأنفال هى الغنيمة ونسب هذا القول الى عكرمة والضحاك ومجاهد وبن عباس وقتادة وبن زيد وعطاء .

٢-القول الثانى : ان هناك من فرق وقال الاننفال ماحصل عليه المسلمون دون قتال (هذا الفيء) ونقل هذا عن عطاء وبن عباس من عدة طرق .

٣-القول الثالث : قيل ان الانفال هى الخمس الذى جعله الله لأهل الخمس فهى اذن بعض الغنيمة .

وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ : من شيء أى (كل شيء) لأن كلمة من شيء تفيد العموم أى كل شيء غنمه المسلمون سيُقسم الى خمسة اقسام أربعة اخماس (للغانمين) وهذا بالإجماع المقاتلين أهل الحرب .

الخمس الباقى كيف يقسم ؟ قيل يقسم على ستة اسهم (٦) وهذا قول ابو العاليه وهذا مما انفرد به وقيل يقسم على خمسة اسهم لظاهر الآية وهذا قول الجمهور وقيل يقسم على اربعه اسهم .

والصحيح انه يقسم على خمسة اسهم .

١- فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ : يقول اهل التفسير بان الواو زائدة فإن لله خمسه، سهم واحد والواو الزائدة وهذه تأتى فى اللغة للعلم بها كما فى قوله (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ)المعنى فلما أسلم تله للجبين نقول هنا الواو زائدة لتاكيد المعنى وللتنصيص على ان هذا تابع لله جل وعلا وأن المسألة لله كلها وليس المعنى أن الواو زائدة أى لا فائدة منها إنما هي أن المعنى تم وهى قد أتت لمعنى اخر وليس بمعنى العطف .

الغنيمة تقسم اربعه أخماس للمقاتلين وخمس يقسم على خمسة لهذه الأقسام التي معنا .

هل سقط سهم الرسول صلى الله عليه وسلم بموته ؟

فيها قولان

القول الأول : لم يسقط لقول الشافعى واحمد وقتادة ، وقالوا يصرف فى المصالح فى مصالح المسلمين وهذا قول الشافعى واحمد وهذا هو الراجح قول الشافعى واحمد يصرف فى المصالح و قال قتادة يصرف للخليفة بعده .

(القول الثانى) : أنه سقط وهذا قول أبو حنيفة وقال يرد إلى الغنيمة إلى باقى الاقسام الاربعة اخماس يرجع إلى جملة الغنيمة .

وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى من هم (ذوى القربى) ؟ قيل هم جميع قريش وقيل هم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وهذا قول الشافعى وأحمد والقول الثالث هم بنو هاشم فقط وهو قول أبو حنيفة .

ذوى القربى لماذا يستحقون هذا العطاء في الغنيمة هل لقرابتهم أم لفقرهم ؟

يُعطَون لقرابتهم وهذا قول الجمهور والشافعى وأحمد .

وأبو حنيفة قال يُعطى بنو هاشم فقط (للفقر) يُعطون لفقرهم .

والصحيح قول الجمهور الشافعى وأحمد لأن الآيه جاءت لا تقيد قالت ولذى القربى ، ولم تقل الفقراء منهم .

وَالْيَتَامَى : من هو اليتيم الذى يعطى من الغنيمة ؟

لابد أن تتوافر أربعه أوصاف فيه :

١- الشرط الاول موت الاب . ٢- الصغر (لم يبلغ) .

٣- الشرط الثالث الاسلام : فاذا قلنا فاذا قلنا ولد يتيم مات ابوه وهو صغير لم يبلغ بعد ولكنه نصرانى هل يعطى من الغنيمة لم يعطى من الغنيمة لماذا لانه لم تتوفر فيه شروط الاسلام ليعطى من الغنيمة

٤- الشرط الرابع الحاجه لأنه معد للمصالح فإن كان غنى لا يُعطى .

وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ : المساكين أقرب الأقوال هو أن المسكين من وجد ما لا يكفيه .

وَابْنِ السَّبِيلِ : هو من انقطع به السبيل عن بلده واحتاج الى أن يرجع وليس معه مما يكفيه للرجوع قد يكون ابن السبيل غنيا يعطى مع غناه لأنه يعطى للحاجه وقد يعطى أيضا من أموال الزكاة يعطى كم ؟ ما يوصله الى بلده ، يعطى بقدر ما ينفق الى ان يصل بلده .

الغنيمة او الزكاة يشترط ان تعطى لمسلم اما الصدقات العامة فلا باس أن يعطى منها الكافر من باب المؤلفة قلوبهم وليس ابن السبيل .

وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ : قلنا هنا تفيد العموم ولذالك قال مجاهد المخيط من الشيء ولذلك فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من كتمنا مخيطا فما فوقه كان غلولا ياتى به يوم القيامة)

يعنى لو كتم مخيط (إبره) من الغنيمة قبل ان توزع سياتى يوم القيامة به مغلولا أى يستحق دخول النار عياذا بالله جل وعلا .

وهنا اشترط (إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ) هنا يرجعهم الى الإيمان لأن الانسان فى قسمة الاموال وغيرها اذا لم يكن عنده ايمان لضل فيها

(إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ) : لم يقل إذا كنتم آمنتم ، يقول لهم أنكم إذا اعترضتم على هذا فأنتم على وشك ترك الإيمان ، لأن (إن) دائما للتشكيك و التردد ، فلم يجزم لهم بالإيمان إن ردوا لأنهم إن ردوا لن يكن مؤمن فاتى بقول (إن)

(إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢))

ثم توالت الايات تذكر بواقعة بدر تفصيلا ، أُنظر الى المشهد كأنك تراه .

إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ : (العدوة) بمعنى جانب الوادى ، اى انتم بجانب الوادى الأدنى .

وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى : أي بالجانب البعيد مما يلى مكه .

أى أنتم مما يلى المدينة وهم مما يلى مكة

وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ : أى تحت لأن أباسفيان أخذ بإتجاه البحر وكان إتجاها جديدا إنما أفلت به ولذلك عبر بقول وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ معناه انه قد بعد فصرتم انتم فى مكان بحيث لا تدركونه .

وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ : لماذا لو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ؟ لأن المؤمنون خرجوا غير قاصدين للحرب والكفار إنما خرجوا إبتداءا غير قاصدين للحرب ، لو تواعدوا على القتال لظل المؤمنون يمهلون فى المدة حتى يتأهبوا ويستعدوا و كذلك الكفار ولذلك قال الله تعالى : (وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ)

(إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣))

فِي مَنَامِكَ : أى فى النوم وهذا قول ابن عباس وقيل (فِي مَنَامِكَ) أى فى عينيك التى تنام بها ، وهذا قول الحسن قيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نام فرآهم قليلاً ، رأى الكفار قليلا فقام فأخبر الصحابة وأخبرهم أنهم منتصرون فكان فيها بشارى لهم .

وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا : طبعا كم كان نسبه المسلمين الى الكفار فى هذه الغزوة واحد الى ثلاثة يقول لو انه رآهم فى المنام كثيرا فقام فأخبر أصحابه وهم خرجوا ليس للقتال ولا عندهم استعداد وليس معهم إلا فرسان وبعض الأسلحه الخفيفة ليس هنال إستعداد للقتال ولم يخرج كل من كان قادرا على القتال معه بل خرجوا جماعة ليأتوا بالعير ، فلو حدث ذلك . (لفشلتم) و لوقع الخوف والجبن فى قلوبكم ولفتت العزائم .

(وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ) لماذا ؟ لأن وقتها سيقولون هؤلاء كثير وسنلقى بأنفسنا إلى التهلكه ويقول آخرون نأجلها لنستعد والآخر يقول نبعث ونرسل نأتى بمدد فكل هذا فت فى العزائم إنما لو قيل لهم عدد قليل ولن يغلبوكم ، قويت العزائم وصار عندهم قوة دافعة للقتال .

وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

(وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ (٤٤))

وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ : الصحابة نظروا إلى الكفار فرأوهم قله وقلة قليله جدا حتى أن أبى شيبة والطبرى وابن أبى حاتم يروون أثرا عن ابن مسعود (قال لمن الى جنبه أتراهم سبعين فقال له أراهم مئة) و فد كانوا يتعدون الألف فكانوا يرونهم مئة أو أقل .

كم كان عدد المسلمين ؟ (٣١٧) انظر نحن مثلهم كم مره إذاً سنغلبهم .

وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ : أنهم يرونهم (الكفار يروا المسلمين قلة) أقل من ٣١٧ هذا عجيب اليس من الافضل ان يرى الكفار المؤمنين اكثر فنحن نراهم قلة (الكفار) حتى تتجرا القلوب ونهجم عليهم وهم يرونا قلة اليس من الافضل ان يرونا كثير ؟ لا لماذا؟ لعدة امور من هذه الأمور :

الأمر الأول : أن الكفار سيدفعون دفعا إلى القتال ولا يتأخرون لحظه لأن الكفار لو نظروا الى المؤمنين ورأوهم كثير لتراجعوا وقالوا لم نعد حسابنا أنهم كثرة نرجع ، يخاف على حياته او أن يصاب بالعار إذا هُزم .

وأن الكفار لايفكرون فى الرجوع ليقضى الله الأمر ويتقدمون إلى قتال المسلمين فيُهزمون .

الامر الثانى : لكى لا يتأهب المشركون كلهم كل التاهب لأنهم لو رأوا المسلمين كثرة لتأهبوا أكثر وشدوا عزائمهم أما إذا رأوهم قلة تهاون فلا تكون عزيمته قويه .

الامر الثالث : ليحمل الأعداء عليهم لكثرتهم فيغلبهم المسلمون فتكون ذالك آية للمشركين ولكن إذا رأوهم قلة أقل من ذلك وهم كثرة يقولون نحن هزمنا ما الذى هزمنا ؟ إذاً الهزيمه اتت من شيء واحد أن هؤلاء على الحق ونحن على الباطل إذاً يعودوا وتكون لهم أية ليفكروا .

هذا المشهد الذى يكمله مشهد آخر وهى الآية التى فى آل عمران (قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ) كيف ؟ فى أول المعركة رأى المشركون المسلمون قلة (وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ) فلما التحموا رأوهم كثرة فكان هذا فتاً فى عضد المشركين أكثر وهذا من عجيب صنع الله جل وعلا .

وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ : ولذالك يقول بعض أهل العلم (وهذا من بديع صنع الله تعالى إذ جعل للشيء الواحد أثرين مختلفين فكان تخيل المسلمين قلة المشركين مقويا لقلوبهم ، و مزيلاً للرعب عنهم ، فعظم بذلك بأسهم عند اللقاء ، و كان تخيل المشركين قلة المسلمين غاراً إياهم بأنهم سينالون التغلب عليهم بأدنى قتالٍ ففاجأهم بأس المسلمين)

فهو مشهد واحد هم يرونكم قله وأنتم تروهم قلة وكل هذا ليس على حقيقته الموجوده ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا سبحان الملك وهذا يؤكد لنا الآية الأخرى فى توحيد الربوبية (أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ) هذه آيه من آيات الله يملك البصر .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦))

(الفئة) : هى الجماعة وصارت كأنها عرفا فى لغة القرآن أنها هى الجماعة الكافرة ولذلك هو أطلقها لم يقل فئة كافره لأنها صارت فى عرف اللفظ القرآنى الفئة الكافرة) .

وهنا يبين الله للمسلمين معالم النصر :

١- فأول شيء من معالم النصر هو الثبات وعدم الجبن عند لقاء العدو (اثبت)

٢- (وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) كثرة ذكر الله جل وعلا لأن كثرة ذكر الله تقوى القلب والبدن ، ولذالك كل المواقف العصيبة يحلها الذكر ، هنا موقف عصيب لقيتم فئة ماذا يحدث لكم قال (لعلكم تفلحون) تظفرون بنصركم وتحصلون مرادكم وتبعدون عن الهزيمه كذلك لما أرسل الله موسى وهارون إلى فرعون قال (وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي) أى لا تبطأ لماذا ليكون لكما سلطان لكما ونصرا معكما لأن الله مع من ذكره فى معيته ونصره الأمر الآخر أن المحب الصادق لا ينسى محبوبه عند نزول الشدائد .

(لعلكم تفلحون) هذا تعليل لفلاحكم وسبب من أسبابه أنكم تذكرون الله كثيرا .

٣- (وأطيعواالله ورسوله) من معالم النصر طاعة الله ورسوله

٤- ولا تنازعوا : النهى عن التنازع ، كيف يكون التنازع النزع الحقيقى يدور على معانى منها (الانحصار) أى الرجوع يقولون رأس النزعاء اى انحصر شعرها فرجع وكان المعنى هنا أى تنحصروا فترجعوا هذا معنى ، وقيل ولا تنازعوا أى ماخوذه من نزع القوس أى شدها ليضرب بها والتنازع هنا ليس مجرد خلاف فقط انما إختلاف فى شدة كلاهما يشتد على الآخر دون أسس ولا وجه للالتقاء لذلك قال (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) قيل الريح بمعنى القوة وقيل الريح بمعنى الدولة أي تذهب دولتكم ونصركم وقوتكم وهذه سنة الله فى الخلق وإذا نظرنا حولنا رأينا هذا باعيننا (الفشل بسبب التنازع).

٥- (واصبروا ان الله مع الصبرين) من معالم النصر الصبر نصبر على ماذا ؟ نصبر على طاعة الله ونصبر عن معصية الله ونصبر على أقدار الله المؤلمة .

وهذه خمسة معالم للنصر بينها الله جل وعلا

وايضا لابد ان ينفى الله الكبر والبطر والرياء عن الفئة المقاتلة أو الجماعة المقاتله لذالك أتت الآيه بعدها .

(وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧))

وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ : أى قتالكم لله ليس حمية ولا رياء ولا سمعه ولا علو إنما قتالكم لوجه الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله)

وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ : أى مقصدهم الأساسى الذى خرجوا من أجله هو الصد عن سبيل الله .

وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ : أى محيط بهم .

هذه هى سنة الله فى نصرته لعباده ومعالم نصر الله ومن خالفها سيهزم ولو كان أولى ولى عابد .

خرجوا رياء وكبر وغطرسة وليس للحق ولكنهم خرجوا لكى يعلموا الناس بمكانتهم وشكوتهم وقوتهم .

(وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) .والمؤمنون يخرجون فى سبيل الله جل وعلا ورفع راية التوحيد لكن هؤلاء يخرجون ليصدون عن سبيل الله جل وعلا ويخرجون بطرا ورياءا وسمعه وليس لله جل وعلا .

ولذلك روى البغوى فى (معالم التنزيل) قول أبى جهل والله لا نرجع حتى نرد بدر ونقيم ثلاثة (نحر الجزور ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابونا أبدا.) وما خرجوا إلا لذلك فقال البغوى فوافوها أى أتوها ، فسقوا رؤس المهالك فكان الخمر .، وناحت عليهم النوائح فكان القيان.

فنهى الله عباده المؤمنين أن يكونوا مثلهم وأمرهم بإخلاص النية والحسبة فى نصر دينه ومآزره نبيه صل الله عليه وسلم .

يقول أهل السير أن من أسباب ذلك أن أبا سفيان لما فر بالعير وسار بطريق الساحل وبعد جدا عن المدينة كما وصف الله تعالى (وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) أرسل إلى أبى جهل وقال لا حاجة للنفير فإرجع إن العير قد أفلتت،

ولكنه فى غطرسة وكبر أراد أن يذهب ويقاتل حتى يفعل ما قاله البغوى حتى تسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا فكان بطر ورياء كما قال الله تعالى .

لذلك يقال فى أثناء طريقه عرض عليه رجل يسمى الخفاف الكنانى عرض عليه أن يمده بالسلاح والمال والاولاد عرض على أبى جهل فرفض وقال نحن فى قوة وكذا وتعزز بما لا يتعزز به لذلك قال الله تعالى (واللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيط).

(وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

ويظهر هنا الشيطان فى المشهد لأن هذه طريقة فى الوسوسة والتزيين

(وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ) فتزينه لهم كان : أولا : بتثبيتهم على الباطل بأنهم لا يغلبون (وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ من الناس) .

ثانيا : إدعائه النصر لهم (وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ) أى أعينكم وناصركم على المؤمنين .

ورد أنه لما ظهر ظهر فى صورة سراقة بن مالك فلما هزم المشركين وعادوا إلى المدينة قالوا يا سراقة إنك السبب فى هزيمتنا إنك قلت إنى جار لكم وناصركم فلما تراءت الفئتان ذهبت وتركتنا فإنتصر علينا المسلمون فقال والله ما شهدت بدر ولكنكم تزعمون ذلك لتبرروا الهزيمة .

السوال لماذا ظهر فى صورة سراقة بن مالك ؟ لان سراقة كان من بنى بكر وكان بين بنى بكر وقريش عداوة فلما رأوا سراقة قالوا إن كل العرب معنا وأنهم لا يخافون عدواة أحد من العرب فجرأهم على القتال.

وهناك قول آخر أنه وسوس دون أن يظهر وهذا ممكن أنه وسوس لهم وأزهم أزا على فعل الشر وتثبيتهم على الباطل دون أن يظهر .

ولكن أجمع أهل السير على أنه ظهر وهذا قول جمهور المفسرين ولا ينبغى أن يحكى غيره ولكن من خالف الزمخشرى والبيضاوى والالوسى وانتصر له الشيخ رشيد رضا أنه وسوس فقط المهم أنه كان مع الكفار يقلبهم على المسلمين والعياذ بالله .

(فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) أى فر هاربا ووقع التبرأ من الشيطان لهم (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) ،على ذلك فإن الشيطان يتبرأ من الانسان عندما يوقعه فى الهاوية ؟ وأعظم وأكبر مشهد للتبرأ مشهد أهل النار حين يتحاجون فى النار ويعلن البرأة منهم (مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) ابراهيم ،مصرخكم أى مغيثكم ومنقذكم وفى الآخرة يتبرأ منهم أيضا كما تبرأ منهم فى الآخرة .

(مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ) : أى أنه رأى الملائكة وأغلب التفسير أن الملائكة (١) وجدت لتقاتل مع المسلمين (٢) الرأى الأخر أنها ظهرت للتثبيت والإعانة فقط .

ولكن الظاهر أنهم كانوا يقتلون حال إحتياج المسلمين لهم .

(إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ: أى إنى أخاف أن يهلكنى الله وهذا قول عطاء ، لذلك يقول قتادة كذب عدو الله ما به من مخافه ولكنه علم أنه لا قوة له بهم ، وقال الانبرى أخاف أن تكون القيامة فخاف الشيطان أن تكون قيامته لأن الله وعده أن يظل إلى يوم القيامة فخشى أن يكون هذا اليوم قد حان ، وهذا من جبنه وسوء تصوره والعياذ بالله ، لأن الجبناء يتصور أته فى كل لحظة يكون حنفه وأن نهايته أوشكت وهذا مثال شديد للجبن (إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) خاف أن يهلكه الله فيكون عقابه شديد .

(إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

تحدثت الآيات عن : أولا : أهل الإيمان وعوامل النصر .

ثانيا : الكفار وكيف كان فعل الشيطان معهم .

ثالثا : أهل النفاق وضعاف الإيمان .

والآيات هنا تتحدث عن الصنف الثالث وهم أهل النفاق وفى قلوبهم مرض والمرض هنا هو ضعف الإيمان . ولكن ما الفرق بين ضعف الإيمان والنفاق؟ يقول أهل التفسير أن المنافقين هم أهل الشك والريبة ولكن ضعاف الإيمان عندهم شك وريبة ولكن لا يظهروه .

(غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ) : خدع هؤلاء دينهم الذى يعدهم بالنصر مع قلة العدد وضعف العدة.

فلماذا قال هذه العبارة ؟ لأنها لو حسبت بالحسابات المادية فالمؤمنون قلة ثلاث مائة وبضعة عشر رجل والكفار يزيدون عن الألف وهم مدججون بالسلاح ومعهم العتاد والعدة ، المسلمون خارجين بالعير ومعهم السيوف الخفيفة وبعضهم لم يثقلهاومنهم لم يأخذ حذره بدرع أو غيرة ، فليس هناك إستعداد للمعركة ،فإذا كان هذا الوضع فى حسابات أهل الدنيا فالحسابات تقول إرجعوا فإنكم مهزوموا دون محالة . لأن العدد والعدة ليست فى صالحكم فآيات النصر ليست معكم .

السؤال هنا لماذا قاتلوا ؟ الإنسان يقاتل إذا كان معه القوة والسلاح ولكن ما الذى دفعهم للقتال الذى دفعهم هو الدين إعتقدوا إعتقاد جازم فى نصر الله ،التوكل على الله ، الإعتصام بالله جل وعلا الدين هو الذى دفعهم. لكن هذا المشهد فى إعتقاد أهل النفاق وضعاف الإيمان مشهد خداع يخدعون أنفسهم لأنهم لا يعتقدون فى مسألة الدين والتوكل لذلك قالوا هذه المقالة لذلك قال الله تعالى(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) أى يصدق فى إعتقاده وإعتماده على الله تعالى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره مع أخذه بالأسباب .

وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ العزيز أى الذى لا يرام زمانه والذى يدل على الغزة والمنعة يمنع أوليائه أن يصل اليهم أعدائه . الحكيم يضع كل شيء فى مكانه فهو الذى قدر ذلك وله الحكمة البالغة .

(وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ)

لوترى أى تشاهدكيف نزلت الملائكة لكى تقبض أرواحهم وفى حالة قبض الروح يضربون الوجوة والادبار ، يضربون الوجوه أذا أقبلوا ويضربون الأدبار إذا فروا (لماذا) ذلك ؟

(ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ)

جزء نحوى بلاغى : هناك بعض أهل التفسير يقف(ولوتَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا) وتبدأ جملة (الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) الفاعل هنا فى هذه الجملة من الله جل وعلا ، والجملة بعدها تكون مستأنفة لأن إسناد التوكل لله جل وعلا يكون مستأنف . فإذا أعربنا(الملائكة) مبتدأ فتكون جملة (يضربون) جملة فعلية فى محل رفع خبر ، فعلى الوصل تكون (الملائكة) الفاعل وجملة (يضربون وجوههم) تعرب حال .

القاعدة تقول الجمل بعد النكرات صفات وبعض المعارف أحوا ل ، وعلى فإن كلمة الملائكة إما أن تعرب فاعل والجمة بعدها حال ،أو تعرب بداية جملة مستأنفة وتكون مبتدأ والجملة بعدها خبر.

وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ : نفى الله جل وعلا الظلم عن نفسه ولكن بصيغة مبالغة (لماذا) لنفى أصل الفعل عن الله جل وعلا .بمعنى لو قلنا فلان ليس بظالم إسم فعل فيمكن أن يكون ظلم ولو لمرة . لكن فلان ليس بظلام فنكون نفيت أصل الفعل عنه . الآية فيها نفى لأصل الفعل .

(كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

هذا العقاب الذى نزل على هؤلاء الكفار ليس بشىء جديد ولكنها سنة الله التى لا تتبدل ولا تتغير فإن سنة الله التى اقتضاها أنه أرسل الرسل وأنزل الكتب وعاند الكفار المرسلين فإن سنة الله تعذيب هؤلاء الكفار وعقابهم

الدأب : هى العادة المستمرة . فأهل فرعون عذبهم الله بسبب ذنوبهم أنهم كفروا

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

فإن الله إذا وهب النعم التى ينعمها على الإنسان من صحة وعافية وأموال وأولاد فإن الله جل وعلا لا ينتزعها من هؤلاء حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم ظاهره وباطنه فهو سبحانه سميع لما يقولون ويعلم مافى باطنهم وما يفعلون فى الباطن لذلك هو يحاسبهم . وهذه الآية تدل على أن خراب العمران زمان حصل للناس من ضعف فى الإقتصاد وتشتت وتشرذم وتقاتل وهجوم الأعداء علينا كله بسبب واحد وهو وهو تغير الإنسان من داخله فينكر نعمة الله عليه ويجحد نعمة الله فينتزعها الله جل وعلا منه، لذلك قال السلف النعمة وحشية أى كالوحش فأشغلوها بالشكر أى إربطوها بالشكر فالنعمة إذا شكرت قرت وإذا نكرت فرت أى تزول . أى أن التغير الحادث

فى الخارج مصدره الداخل أى إذا أردت أن تغير الواقع غير الداخل أتريد أن تستمر النعم أحسن الظن بالله واشكر الله.

السلف كانوا حساسين للنعمة فيقول أحدهم إنى لأعلم أثر معصيتى فى نشوز زوجتى ودابتى لماذا ؟ لان الداية مسخرة يستعملها الإنسان كيف يشاء والزوجة بينها وبين الرجل مودة ورحمة فإذا تغير الإنسان تغيرت النعمة .والناس لا تفهمون ذلك يريدون تغير وهم لا يتغيرون ،يريدون رخاء اقتصادى والله لا يغير الإ إذا تغير داخلهم وإذا لم يتغيروا من الداخل لن يتغير وسيكون أسوأ والعياذ بالله .لذلك العلاجات السريعة لا تجدى ولا تبنى الأمة .فالنبى صل الله عليه وسلم بدأ بناء الأمة فى مكة لمدة ثلاثة عشر سنة بناء الداخل العقيدة الإيمان ولما وصل إلى المدينة كان الداخل صلب والناس إستقروا (رسخ الإيمان) بنى الدولة وإستطاع بها إستمرار التوجية ، و إستطاع كل واحد منهم أن يكون رقيب على نفسه ففى أى موقف يظهر الإيمان الداخلى .

(كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِينَ)

تكذيب آل فرعون كان السبب فى عرقهم وكانوا قوم ظالمين ، وفى الآيتين الأولى كفروا وفى الثانية كذبوا ، الاولى أخذهم الله بذنوبهم وفى الثانية أغرقهم بذنوبهم. وفى الآيات الثلاث السابقة الكلام عن آل فرعون ومن قبلهم .

(إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ)

الآيات تصف حال الكفار الذين قتلوا فى بدر شر الدواب.

الدابة : فى اللغة (هى كل ما يدب على الأرض) ، ولكن عرف إصطلاحا أن الدابة (هى الحيوان ذوى الأربع) ولكن هذا عرفا لكن الصحيح أن الدابة هى كل ما يدب على الأرض ولكن السيارة ليست دابة فهى تلف على الأرض .

قال الشاعر : زعمتنى شيخا ولست بشيخ إنما الشيخ من يدب دبيا

فقال الشاعر أن الشيخ هو الذى يدب على الأرض بالعصى يتكأ عليها ولكن القرآن أيد أن الدابة هى كل ما يدب على الأرض .

(إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) فى هذه الآية تكرار لماذا فى لا يؤمنون بعد الذين كفروا ؟ تفيد الاصرار أى الاصرار والاستمرار على الكفر لذلك جائت فى المضارع فالفعل المضارع يفيد الإستمرار .

(الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ)

أى عاهدوك على ألا يقاتلوك أو يقاتلوا أوليائك وسببه أنهم لا يتقون الله تعالى ولا يخشون الغدر ولا يبالون بالمعرة فليس لهم عهد أو مواثيق وقيل أن هذه الآيات نزلت فى اليهود أو فى الكفارو ليسوا أهل كتاب ومع ذلك غدوا بالنبى صل الله عليه وسلم .وكل هذه الآيات نزلت بعد بدر .

(فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)

تثقفنهم : أى تقابلهم ولكن فيها معنى التمكين ووالظهور أى تظهر عليهم وتتمكن منهم ، فشردهم نكل بهم أشد تنكيل حتى يسمع بهم من خلقهم لعلهم يعتبرون من حالهم ويزهدون فى قتالك ومظاهرة أعدائك عليك ، فعندما يغدر بك أحد وتنكل به فإنه يهابك ولكن إذا تركته فإنه يعاود الكرة .

ففى صحيح البخارى كتاب (الأدب الفرد) فى باب (المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين) عن أبى هريرة قال رسول الله صل الله عليه وسلم (لايلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين) مناسبتة عند أهل السيرة أنه عندما قبض على الشاعر الكذاب أبى عزة القرشى الجمحى فى بدر اشتكى للنبى الاولا والاموال وأخذ يبكى فتركه النبى صل الله عليه وسلم ولكنه إشترك مع الكفار فى أحد فعندما قبض عليه أخذ يشتكى للنبى فقال له النبى أتركك لتهز عارضيك وتقول خدعت محمد وأمر به فقتل . وإن كانت هذه الرواية فيها ضعف ولكن لها اعتبار فى الحديث وان الإنسان يتعلم من تجاربه ، قال معاوية (لا يكون الإنسان حكيم إلا بالتجارب) فالتجربة الانسان يذل ويكون حكيم ولا يكون هذا من أول مرة .

(وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ)

النبذ : هو الطرح أى إطرح عليهم عهدهم إذا خاف منهم نقض العهد وباتت ملامح ذلك واضحة ولكن بشرط أن تكون أنت وهم فى العلم سواء فى النبذ لأنه إذا لم يعلمهم يكون غدر من النبى والعياذ بالله والنبى منزة عن ذلك إذا كنت فى معاهدة مع اليهود وباتت ملامح الغدر واضحة وأنت ولى الأمر فماذا تفعل ؟ تقوم برد المعاهدة وتعلمهم بذلك حتى لا تكون خائن أو غادر ، لذلك قال الله تعالى (إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ) وقال النبى صل الله عليه وسلم (أدى الأمانة لمن إئتمنك ولا تخن من خانك) لماذا لا تخن من خانك ؟ لأن الله لا يحب الخائنين فلا تكن خائن ولا غادر ، لأن الله إذا لم يحبه فإنه ينهى عنه ويمقت عليه ويرغب له والعياذ بالله من ذلك .

(وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ)

لا يطمئن الذين كفروا أنهم لما مروا هذه المرة أفلتوا من عقاب الله هذا رأى ، والرأى الأخر قيل أنهم سبقوا المسلمين فى النصى فى تدبيهم وسبقهم إلى مكان المعركة وأخذ العدة والعتاد والسلاك والقوة . ومع هذا فإنهم مع ذلك لا يعجزون الله بل يل إن الله يقبض عليهم ويقتص منهم ولا يفلتون منه.

(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ)

ما : من ألفاظ العموم ولكن هنا قيدها بالإستطاعة فكل ما يستطاع فعله من أجل الجهاد فى سبيل الله برد ظلم وبدعوة الله جل وعلا وفى سبيله نحن مأمورون بالإعداد له وبالوصول إليه .وهذا هو الإعداد المادى بعد الإعداد الإيمانى أى أعدهم بدنيا لكى يقاتلوا .

رباط الخيل : أى حبس الخيل فى سبيل الله .

ترهبون : تخوفون وهذا الخوف المقرون بالإضطراب وهذا فيه وسع فى ذلك ترهبون به عدو الله وعدوكم وتخوفون أيضا أقواما من دونهم .من هم هؤلاء ؟؟؟ اختلف الفسرين : قالوا (كفار الجن – بنى قريظة – أهل فارس) وفى قول لأبى فخر الرازى يقول المسلم ولكن كيف يقول هذا ؟ يكون فى حالة أهل البغى يكون هناك أناس عندهم إستعداد للخروج عليهم وهذا قول ضعيف ، والقول الاخر هم المنافقون وهو أصح الأقوال .

(ومَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) كلمة شيء نكرة فى سياق النفى وسبقت بمن فهى نص فى العموم فأى شيء ستنفقونه صغيرا كبيرا فى سبيل الله يوفى لكم وانتم لا تظلمون ولا تنقصون شيء من أجوركم .

ولكن لما أتى ما تنفقون من شيء بعد هذه الآية ؟ لأن هذا الاعداد المادى يحتاج إلى نفقات لانه يجب أن ينفق المجتمع المسلم على جيشه لكى يعده لنصره الله جل وعلا فإذا لم ينفقوا سيكون هناك ضعف فى الجيش وبالتالى سيهجم عليهم الأعداء و بالتالى ستأخذ أموالهم غصبا وبالتالى لا ينتفعون فدفع المال لتجهيز الجيش المسلم الغازى فى سبيل الله هذا أمر له مع أنه يوفى له ولا يظلم وأى شى خير من الجهاد !!.

﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.

ذكرت الآيات التي قبل كيف يكون على الأمة المؤمنة أنها تقوم بواجب الإعداد المادي بعد الإعداد الروحي والمعنوي ، وذلك لترهب عدو الله جل وعلا وترهب أقوام . قلنا أن الأقرب أنهم المنافقون ترهبهم فلا يستطيعون أن يكيدوا لدولة ولا أن يقلبوا الأمور والعياذ بالله جل وعلا.فالله جل وعلا ربك وهو يقول لك توكل عليه لأنه سميع عليم ومل إلى المهادنة

– جنح : أي مال الكفار إلى السلم .

– السلم : أي الصُلح وترك القتال.

–فاجنح لها : أي فمل أيها الرسول إليها وعاهدهم .

–وتوكل على الله: أي خذ بالأسباب.وتوكل على الله لمهادانتهم،فلن يصلوا لك بأمر تكرهه فالأمور كلها يد الله جل وعلا.

–سميع : أي سميع بقول هؤلاء الكفار .

عليم : أي عليم بما يضمرون بما في أنفسهم لك وأنت غائب عنهم .

مسألة :

–هذة الآية تأصل عند جمهور الفقهاء الجواز والإذن في المهادنة مع الكفار .

–ولكن أختلف جمهور العلماء في الأمر الذي يهادنون له.

س: لماذا يهادنون الكفار ؟ أو ماهو مناط المهادنة ؟

أختلف المناط عند علماء المسلمين إلى ثلاث اتجاهات :

١.أن مناط المهادنة مع الكفار هو المصلحة الشرعية التي يراها الإمام ومعه جماعة الحل والعقد ، فإن رؤا في مهادنة الكفار مصلحة هادنوهم وإن رؤا غير ذلك فإنهم لم يهادنوهم . لأن المصلحة التي هى مناط الهدنة غير موجودة .

ومن المصالح :

–أن يهادن الإمام قوم في الطريق ليصل لأقوام أُخرى .

–أن يهادنهم حتى يرتب أموره ويُصلح من شائنه فيكون الأمر أبلغ وأفضل .

–وما حدث في صلح الحديبية أن النبي صلى الله عليه وسلم هادنهم لمصلحة حتى يصل للمشركين بمكة ويحدث الأختلاط بين المسلمين والكفار وتنتشر الدعوة . وسمى الله هذة المصلحة " فتحاً " . وسمي فتحاً لأن في فترة الصلح حدثت المخالطة أنتشرت الدعوة .

٢.أن مناط الهدنة هو الحاجة والضرورة أن يعبر عنه بعض المسلمين ، طالما هناك حاجة أو ضرورة يخشى على المسلمين منها. فإنه يجوز للإمام أن يصالح الكفار وقت إذن واستدلوا بذلك " بصلح الحديبية " لأنهم كانوا يخرجون للحج وليس للقتال فموقفهم كان موقف ضعف فخشى عليهم .

–وهناك لا يصح الاستدلال بصلح الحديبية. وذلك لإن المسلمين في صلح الحديبية كان لديهم القدرة أن يُطيحوا بأهل مكة. ولكن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أن الفتح قادم لاشك فيه وأنه دون أن يقاتل ويدخلون الناس بالمصالحة لكان أولى.وأنه صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له بمقاتلتهم ، ودليل أنه لم يكن هناك ضعف أعتراض عمر رضي الله عنه عن عدم المقاتلة مما يتبين أن الاستدلال بصلح الحديبية في هذة المسألة ليس قوياً.

٣.أن يجوز للإمام المهادنة دون وجود مصلحة ولا حاجة ولا ضرورة للهدنة شرط مالم يكن ضرر على المسلمين بالمهادنة .

وأصحاب هذا القول انقسموا إلى إتجاهين :

–أنه يجوز المصالحة دون أي مصلحة أو حاجة وهذا رأي المالكية .

–أن السلم هو الأصل وأن الحرب والقتال والجهاد ماهو إلا للضرورة ، فإذا زالت الضرورة برد العدوان أو بدفع الأذى عن المسلمين يعود الأمر لما كان عليه لحالة السلم . وهذا الإتجاه ليس له سلف لعلماء الفقه إنما هو إتجاه مستحدث وهذا لأنه يقول لا جهاد إلا جهاد الدفع . ولكن حقيقة الجهاد لإعلاء كلمة الله وهو جهاد الطلب.

وهذا الإتجاه بالنسبة للنصوص فيه اضطراب ،لاستدلاله ببعض الأدلة دون الأخرى .

٤.إتجاه ابن حزم في أنه لا يرى المهادنة ، وأن هذة الآية منسوخة نسختها آيات القتال فلم يعُد للمسلمين إلا أن يقاتلوهم حتى يسلموا ويستثنى من ذلك أهل الكتاب بأنهم يعطوا الجزية . وهنا نقول أنه لايصح النسخ في هذة الآيه .

كم سنة يعقدها الإمام للمهادنة ؟ وهل الهدنة مطلقة أم مقيدة؟

–هدنة مطلقة –هدنة مؤبدة –هدنة مقيدة

–هدنة مطلقة : هي أن الإمام لم يقيدها ولكن تركها إلى حين توفر المصلحة أو مناط المهادنة التي تحقق من أجلها .فهي مشروطة وجائزة.فإن أراد قطعها وإن أراد أبقى عليها لتحقيق شرطها.ويميل لهذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية .

–هدنة مؤبدة : بمعنى أننا نهادنهم والسلم هو الأصل ، فهي دائمة لا تنقطع . **وهي لا تجوز** .

–هدنة مقيدة: وهي التي يقيدها الإمام بسنين . ويميل لهذا القول الحنابلةوهذا لاحتجاجهم بصلح الحديبية . وهي جائزة .

﴿ وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾.

–أن يخدعوك : أن كانوا قصدوا بالصُلح أن يخدعوك وأن يضروك أن يظهروا المسالمة ويريدون إضرارك فماذا تفعل ؟ (إن حسبك الله) ، فلم يقل له إذا ظننت نيتهم السيئة لا تعقد معهم الصُلح بل توكل على الله وسيكفيك ضرهم وخداعهم .

–إن حسبك الله : وهنا الحسب لا يكون إلا لله بالتأييد والنصر من الله .

–وبالمؤمنين : والمؤمنين ايضاً أيد الله النبي بهم .

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

من أعاجيب الله جل وعلا أن النبي صلى الله وعليه وسلم أتى على قبائل متناحرة وعندهم استعداء وحب أصولهم القبلية وغير ذلك ، فمن الذي سيؤلف بين هؤلاء ؟ فليس المال الذي سيؤلف بينهم ولكن الله هو الذي ألف بين قلوبهم . ولذلك قال **(لو أنفقت)** ما في الأرض جميعاً . ولذلك من أعظم النعم تأليف الله للقلوب .

ألف : أي جمعها على الحب لنصرة دين الله

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

–والصحيح في معنى الآية هو : **أن الحسب لا يكن إلا لله**

حسبك الله : أي الله يكفيك ويكفي من اتبعك من المؤمنين .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ ﴾.

-لماذا حرض ؟

لأن النفس تكره القتال (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) ،فالنفس تحب البقاء . ولكن أمر الله رسوله بالتحريض على القتال والجهاد حتى ولو تكرهه النفس لما أعده الله لهم ، وفي الشهادة الفوز العظيم .

-(عشرون صابرون يغلبوا مئتين) وهنا جعل الصبر شرطا . صبر على تحمل الأذى وطاعة الله في القتال والصبر على المعاصي ، فهذة العشرون الصابرة تغلب (مئتين) والمائة تغلب ألفا **لماذا؟** لأن الكفار لا يفقهون ، ولا يفقهون هنا **للعموم** ، فلا يفقهوا لماذا يقاتلون . فالمسلم يقاتل لأجل عقيدة ولكن الكافر يقاتل لأجل هوى متشعب ومن أجل عصبية وحمية أو مال.ولذلك هو ضعيف لأجل ذلك . وهذا فيه حث لتعلم أساليب القتال ، وأن نكون أفضل منهم في ذلك .

حرض المؤمنين : والتحريض هو الحث الشديد ، وهو حث فيه مبالغة . فحرض أي الإنسان يبذل حتى يصل إلى الهلكة .

-لا يفقهون : أي لا يفقهون القتال كما يفقه المسلمون .

﴿ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾.

-الآن خفف الله عنكم وذلك لأنه عليم بهم . لأنهم ضعفوا عن هذا ، ضعفوا عن ماذا ؟

قد يكون لقلة صبرهم ، وقد يكون ضعف بدانيا أصابهم فعلم الله بهم فخفف عنهم وهذا من لطفه سبحانه وتعالى .

- وهذا من الآمور التي جاء **النسخ** من أجلها ليخفف عنهم .

-شرطي النصر (أنه بإذن الله – أن الله مع الصابرين) وهذا فيه حث أن يكون المؤمنون صابرين . لماذا ؟

لأن الصبر يؤسس لمعية الله عز وجل .فالله يكون معهم معية خاصة ينصرهم ويأييدهم .

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

هذة الآية نزلت لشأن أسرى بدر ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم شاور الصحابة بشأن الأسرى .

فرأى أبي بكر أن لا يقتلوهم فهم ابناء عمومة وقد ينتفعون بهم بعد ذلك،ينتفعوا بما سيأخذون من الفداء ليقوّا به المسلمون

ورأى عمر لابد من قتلهم وإبادتهم لأنهم صناديد الكفر وبقتلهم تضعف شوكة الكفر بعد ذلك ،وكان عمر مُصيباً في ذلك ونزل في ذلك قرآن لتأييد رأيه .لقوله تعالى :(ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ....) .

-(تريدون عرض الحياة الدنيا) وذلك لقبولهم الفداء والمال .

ما كان لنبي : أي ما سبقك نبي بهذا من قبل .

يثخن: أي يكثر القتل في اعدائه.

﴿ لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

لولا كتاب من الله سبق : أي في قضائه وقدره . أي يحل لكم الغنائم أو يحل لهم شئ .

﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

بين أن الغنيمة حلال طيب ، وهذا من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم أنه أُحل لها الغنائم ومن معه وأن الغنائم ما كانت أُحلت من قبل .

-الآية تحدثت عن الفداء

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

هذة الآية فيها حث لنا على إصلاح القلوب وهذا في (لمن يترك شيئاً والله علم ما في قلبه من إرادة للخير فالله يعوضه بخيرا منه ومن جنسه أيضاً) . ويزيدكم أيضاً المغفرة

إن يعلم الله في قلوبكم خيرا: أي تسلمون .

ويؤتكم خيرا : سيعوضكم خيرا .

﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

-أي لو قالوا سنسلم كي لا يأخذ فداء وهربوا منه ،ويظهرون الإسلام ويبطنون الكفر وهذا خيانة ، عدم الإسلام والوقوع في المعاصي خيانة ، فعندما خانوا الله سلفاً فأمكنك الله منهم في بدر ، فإن خانوا بعدها سيقعون مرة أخرى في يدك ولكن الأمر سيختلف لأن عقوبتهم ستكون حاسمة وقوية .

خيانتك : أي خداعك والمكر بك . والخيانة لا تحمل معنى إلا النقص . ولذلك لا يوصف الله جل وعلا بها .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

-ثم ختمت الآيات بذكر اصناف الناس (اصناف المؤمنين واصناف الكافرين) .

-مسألة :

أولياء بعض : وهذة الولاية في الإسلام لمن آمنوا وهاجروا ، في حالة الهجرة أما من آمنوا ولم يهاجروا لا يعقد لهم الولاية حتى يهاجروا إلا في حالة أن يستنصروا في الدين على عدوهم وهنا وجب نصرتهم ولكن بشرط ألا يكون على قوم بيننكم وبينهم مثاق وعهد وإلا يصبح هذا خيانة للعهد .

أقسام المؤمنين : أربعة ومنهم ثالثة في هذة الآية :

١. الذين هاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله .

٢. الذين آووا ونصروا .

٣. الذين آمنوا ولم يهاجروا . ولا تعقد لهم ولاية حتى يهاجروا .

آووا : أي ضموا المسلمون إليهم وواسوهم بأموالهم .

نصروا : أي نصروا الله . نصروا دينه ونصروا رسوله .

أولياء : أي ينصرون بعضهم بعضا ويعين بعضهم بعضا .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾.

الكفار أشكال: منهم من ينصروا بعضهم بعضا ومنهم من يعادي بعضهم بعضا ولكن جميعهم أولياء لبعض لإستئصال شوكة الإسلام .

-إلا تفعلوه تكن فتنة: وذلك الكفار يتناصرون من أجل دينهم الباطل ، فكيف لا تناصرون من أجل دينكم الحق ! فتضعفوا ويستأصلون شوكتكم ويفتنونكم.

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾.

-وهنا اعاد ذكر المؤمنين الذين هاجروا وجاهدوا مرة أخرى وذلك لعلو شأنهم .

-مسألة :

ذكر الله في القرآن الكريم المؤمنون والمؤمنون حقاً ... فما الفرق ؟

فالمؤمنون حقاً : هم الذين تحقق وكمُل إيمانهم .

أتي في الآيات بالمغفرة ومن ثم الرزق ؟

وذلك لأننا بحاجة إلى المغفرة أكثر من الرزق ، (عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لن ينجي أحدا منكم عمله قال رجل ولا إياك يا رسول الله قال ولا إياي إلا أن يتغمدني الله منه برحمة ولكن سددوا) والمغفرة من الرحمة حيث لا يحاسب عل سيئاته ولا يحاسب عليها ويدخل الجنة.

كريم : أي الكرم والإكرام فيه تمام الشئ وبكل ما تُكرم به

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

هنا القسم الرابع من المؤمنين :

٤ .الذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم .

فائدة:

لم يقل فأولئك والوهم بل قال فآولئك منكم .. وليس فقط لهم حق الولاية بل أنهم منكم وهم الأصل .

–بعض أهل العلم يخصون هذة الآية بالميراث وهي ناسخة لآيات التوارث بالأخوة الإيمانية . وبعضهم يقول أنها عامة وهذا الأقرب .

–أولي الأرحام : أي أصحاب القرابة .

الحمد لله رب العالمين